روايات عبير الجديدة

سوزان كلير

البحيرة الذهبية

WWW.REWITY.COM
مرمورية

٣٦

البحيرة الذهبية

سوزان كلير

كانت توني ساهية وهي تقود سيارتها، فاصطدمت بسيارة اخرى كانت تأتي بنفس.

عنف السائق الشاب الفتاة التي لم تكن تملك القدرة حتى على الرد. ودون ان يهتم لمشاعرها. ولكن... هذا غير مهم. توني سترحل عن كندا، وعن هذه الطريق، وعن هذا الشاب الفظيع!

للأسف، المواجهة بينها وبين رالف ستيوارت كانت قد بدأت لتوها. لكن توني كانت تجهل ذلك...

www.rewity.com

البحيرة الذهبية

انتفضت «توني» بهول عندما رأت أن السيارة البيضاء الآتية نحوها بسرعة، تسير على نفس الجهة من الطريق. ردة فعلها كانت مباشرة، فبنفس اللحظة التي حاول فيها سائق العربة تجنبها، وجهت سيارتها نحو الرصيف المقابل، وبعد وقت بدا لها طويلاً، علقت الدواليب في الوحل والأعشاب.

أحنت «توني» رأسها على يديها اللتين كانتا لا تزالان متشنجتين على المقود. وبصعوبة استطاعت أن تتنفس. فهي لم تقترب من الموت بهذا القدر من قبل.

حصل الحادث خلال ثوان، إنها هي السبب، فقد كانت مستغرقة في أفكارها. ولم تكن تدرك بأنها تجاوزت الخط.

سمعت صوت بابٍ صُفِقَ، وخطوات مسرعة متجهة نحوها. وأحست بيدٍ تربت على كتفها.

ـ هل أصابك سوءٌ، سألها صوت رجولي.

قامت «توني» ومن خلال الضباب لاحظت وجهاً قلقاً منحنياً عليها.

ـ كلا، لم أصب بمكروه، شكراً، قالت بنبرة واثقة: أنا آسفة، إن الخطأ خطأي.

ـ أنا سعيد لأنك واعية! . أجاب المجهول بجفاف.

ردّ خصلة من شعره الأسود الخشن بحركة أظهرت توتره.

ـ إذا كنت تفضلين القيادة على اليسار، فكان يجب عليك أن تبقي في بلادك. قال لها بتهكم.

ـ ليس هذا هو المطلوب. كل ما هنالك أنني أصبت بلحظة من الذهول.

أحست «توني» بأن الغضب بدأ يتملكها.

ـ أنا آسفة، أجابت.

ـ أتظنين بأن هذا يكفي؟ استهزأ الغريب بها دون أن يخفي غضبه. إذا كنت غير قادرة على تركيز أنتباهك على الطريق، فالأفضل لك أن تتخلي عن السيارة!.

ومضت عيون الفتاة الخضراء.

ـ أنا مثل نموذجي من النساء اللواتي يقدن السيارات، أليس كذلك، تبدو وكأنك واحد من أولئك الذين يتبنون هكذا آراء!

ـ أنت مخطئة، أجاب الرجل الكندي. فأنا أعرف الكثير من السائقات الممتازات.

تفحصت نظراته الرمادية المشرقة وجه «توني»، وتوقفت عند فتحة قميصها الأبيض.

ـ أأنت مارة من هنا؟ سألها الرجل.

قررت «توني» أن تظهر له برودة.

ـ أنا لا أظن أن الأسباب التي تشرح سبب وجودي هنا تهمك، وشكراً لأنك توقفت.

ـ هذا أقل ما يمكن أن أقوم به.

رجع الرجل المجهول خطوة للوراء ليتفحص العربة.

ـ لن يكون من السهل إخراجك من هنا.

ـ لا تقلق لذلك، ردت عليه توني بجفاف. أنا أستطيع أن أطلب المساعدة من أي إنسان آخر.

ـ طبعاً! يوجد الكثير ممن يقود بهذا الأسلوب على هذه الطريق. قال بها بتهكم لاذع: هيا، لا تكوني غبية... انتظريني هنا، سأبحث عن حبل في صندوق سيارتي.

أطاعته «توني» ولم يكن لديها خيار آخر! لكن كبرياءها جرح. موقف هذا الرجل كان صحيحاً وأكيداً من ناحية، ولكن هل من حاجة ليكون بهذه الفظاظة؟ كان لديها ما يكفي من الهموم... عليها العودة إلى انكلترا بعد أن تركت عملها في «فانكوفار». طبعاً، «مالغاري» المدينة المرتفعة في الغرب تقدم إمكانيات توظيف مضاعفة.

ولكن هل هذا حقاً ما تتمناه؟ بدون «راندي» لن تحلم حتى بالإبتعاد عن بريطانيا الكبرى. «راندي» يكفي مجرد التفكير به حتى يخفق قلبها. كيف يمكنها أن تخطىء بهذا الشأن؟ الآن فهمت أن الحب أعمى. وأغمضت عينيها بقوة هرباً من الحقيقة. ولكن حقيقة مشاعرها خانتها.

التقت به في سهرة وسرعان ما فتنتها عيون الشاب الكندي الزرقاء الذي يعيش في إنكلترا منذ عام لممارسة مهنته، لكن مدة إقامته تنتهي بانتهاء عمله لكن رحيله القريب وطد العلاقة بينهما «توني» في الثالث والعشرين من العمر، كان لها الكثير من العلاقات مع الشباب، لكن هذه العلاقات لم تتعد حدود الصداقة، «راندي» كان مختلفاً، كان أكثر من صديق. أعترف بحبه الشديد لها بحيث أنها لم تكتف بالتجاوب معه فقط بل اعتقدت بصدقه وإخلاصه.

عندما عرض عليها أن تترك عملها وتتبعه إلى كندا. كان متحمساً ومقتنعاً أن «توني» تنتظر إلى أن يعيشا معاً. وأكد لها أنه سيجد لها عملاً آخر ريثما يؤسسا عائلة لهما. هذا ما قالته توني.

وبمجرد الوصول إلى «فانكوفار» أدركت «توني» خطأها. «راندي» ليس لديه النية أبداً بالزواج منها. وقبلت بالرغم من كل شيء، علاقة الحب معه.

ولكن سريعا ما علمت أن «راندي» لديه زوجة وطفل. طفل عمره سنة ونصف فقررت الأنفصال. ولم يحاول «راندي» حتى أن يعدلها عن قرارها..

بقيت بعض الوقت في «فانكوفار». كانت بحاجة إلى التفكير، لمعرفة كيف ستعيد بناء حياتها. فجأة وبعد ستة أسابيع تركت كل شيء، راغبة في مغادرة المدينة التي أحست فيها قليلا من السعادة، ومتوجهة إلى شرق البلاد.

إستأجرت سيارة فالسفر لبضعة أيام يمنحها الإمكانية لأن تجمع نفسها وترتب أفكارها... أمضت الليلة الماضية في فندق. وهذا المساء عليها الوصول إلى أقرب قرية حتى تجد لنفسها مكاناً.

صوت محرك إنتشل الفتاة من أفكارها. ورأت شاحنة آتية من الاتجاه المقابل مستعدة لتشبكها. وسمعت دعسة فرامل فجأة، والتفتت فرأت الرجل المجهول الأسمر واقفاً على الطريق، يشير إلى السائق بالتوقف.

لاحظت «توني» ضخامة عرض كتفيه وظله الطويل. وكان بادياً عليه الشعور بالقوة والعظمة.

هذه الجبال الضخمة كانت مثيرة، فتأسفت «توني» على تلال انكلترا الناعمة حيث ولدت.

نزل السائق من الشاحنة، وتناقش الرجلان ثم عاد السائق وصعد إلى الشاحنة، بينما الرجل المجهول ذو الشعر الأسود التفت إلى سيارة «توني» وعلق بها حبلاً.

وتمكنت الشاحنة من قطر السيارة.

سأستلم المقود، طلب الكندي من «توني»، أن سيارتك مربوطة بشكل تدور بسهولة.

ـ في هذه الحالة، علي أنا أن أتحمل الخطر، أجابت الفتاة بنبرة ثابتة.

تنهد الرجل، دون أن يحاول إخفاء سخريته.

ـ ليس لدي وقت لأضيعه، قال بقسوة. أخرجي من هنا! أو أنك تريدينني أن أستعمل القوة؟

ـ ليس لديك الحق...

وكان الرجل قد فتح الباب.

ـ لا تلمسني! صرخت الفتاة وهي تنزل من العربة. أنت حقاً بدون تمييز..

ودون أن يتكلم جلس وصفق الباب. وهنا وجدت الفتاة نفسها مجبرة على التراجع والإنتظار.

الشاحنة تقدمت على مهل، والحبل ممدود، بعد قليل، خرجت السيارة من الحفرة التي وقعت بها. وبقيت متوازنة على دولابين للحظات ثم ثبتت. أقترب سائق الشاحنة ليسلم على «توني» وعكست نظرته إعجاباً.

ـ دولاب مثقوب. أليس كذلك؟ كان حظك جيداً!

أحنت «توني» رأسها.

ـ لا، لم يكن هذا هو السبب. فقد كنت أقود مسرعة.

ـ ولكن أخبريني هل أنت انكليزية! سألها فجأة. أهلي من أصل انكليزي. «لادز» هل تعرفينها؟.

ـ كلا ولكن سمعت عنها. أجابت مبتسمة. ألم تذهب أبداً إلى انكلترا؟.

ـ كلا، اعتقد أنني سأقوم بهذه الرحلة قبل أن يأتي الأولاد إلى هذا العالم....

استدار نحو الرجل الآخر الذي كان يتفحص السيارة.

- هل هناك مزيداً من الخسائر؟.

- جنب محطم فقط إنك محظوظة فعلاً. آنسة!

- لاحظت في عينيه الرماديتين نظرة ساخرة.

- معك حق! والتفتت مجدداً نحو السائق وابتسمت له ابتسامة مشرقة.

- لقد قدمت لي خدمة عظيمة أيها السيد.

- عفواً، لكن كوني أكثر حذراً. إلى اللقاء.

عندما أبتعدت الشاحنة، عاد الرجل المجهول إلى الكلام.

- هذه نصيحة جيدة. قد تلتقين بأناس سيئين.

- جيد منك أن تحذرني من اللقاءات الرديئة. وإذا كان كل الكنديين مثلك، فإني سأغادر هذا البلد غداً!.

صعدت إلى السيارة، وأغلقت الباب بهدوء ثم أدارت المفتاح.

- شكراً لمساعدتك، وأشك بأن معرفتك بي قد تركت فيك بعض الأثر...

داست على دواسة السرعة. وشاهدت عبر المرآة الرجل يستدير متجهاً نحو عربته وشعرت بالراحة لأنها انتهت منه!

وعندما رأت لوحة كتب عليها «بحيرة الذهب» بعد عدة كيلو مترات أدركت كم أن هذا الحادث أثر على أعصابها. الإشارات الموجودة على اللافتة تشير إلى أنها تستطيع إيجاد أرض للتخييم وبعض الطعام. إذا توقفت عن السير ليلاً سوف تشعر بتحسن في الغد. ستمضي العطلة إذاً في «كالغاري»، فعليها أن تجد حلاً، وقواها منهكة، ولن تصمد أكثر من أسبوعين إذا أرادت أن تحتفظ فقط بثمن تذكرة الطائرة. وتوقفت في طريق تؤدي إلى قمم الجبال المغطاة بالثلوج. في ناحية من هذا

المشهد الطبيعي، تختبىء بين التلال بحيرة الذهب.

وعندما خرجت من إحدى المنعطفات إكتشفت «توني» منظراً رائعاً: البحيرة، بكل سحرها تمتد تحتها. وضفافها الخضراء مزروعة بالأشجار. في هذه الساعة من النهار وعندما تختفي الشمس في الأفق، يلمع سطح المياه كالذهب وتتوارى في ضوء الغسق، يستحق فعلاً هذا المكان أن يحمل إسمه.

شاهدت توني منازلاً خشبية وعربات منتشرة على أحد جسور البحيرة.

وعلى مسافة أبعد قرب حافة البحيرة رأت المبنى المركزي، المحاط باشجار الحور، كما رأت بعض الخيول التي كانت ترعى بين الأشجار الخضراء. وبعض القوارب الراسية قرب الجسر العائم الصغير.

وكان واضحاً أن الأماكن المحجوزة للتخييم كلها مشغولة، وكذلك الفندق أيضاً.

فقررت «توني» أن تجرب حظها.

وفي الطريق المؤدي لعدة منعطفات قرأت توني على إحدى اللوحات «مخيم بحيرة الذهب» دخلت في ممر مليء بالحصى ويتفرع في اتجاهين الأول إلى المخيم والآخر إلى الفندق.

ومن النظر إلى عدد السيارات المتوقفة في الموقع يتبين لك أن المكان مزدحم، وتمنت «توني» أن تجد مكان لها، فهي بأشد الحاجة إلى الراحة هذه الليلة.

دخلت المبنى، وتوجهت نحو جهة الأستقبال، وهناك أجابتها الموظفة المسؤولة بالنفي.

- لقد سلمنا آخر غرفة عندنا منذ دقيقتين فقط.

- والشاليهات الصغيرة؟

- نحن نؤجرها أسبوعياً.

تنهدت توني، فإن فكرة العودة إلى السيارة لا تروق لها أبداً.

- وأين يقع أقرب فندق؟ سألتها توني بقلق بادٍ.

- آه، عليك الذهاب حتى «كولون».

«كولون» تقع على بعد عدة كيلومترات. فهي لن تصل إلا متأخرة، في وقت تكون فيه الفنادق قد امتلأت. ولكن ليس هناك حل آخر. فهزت كتفيها وقالت:

- شكراً على كل حال.

- ماذا يجري يا «مارغو».

إلتفتت توني فرأت رجلاً يقف خلف آنسة الإستقبال، فقالت له: لا شيء، أريد فقط غرفة...

- كلها محجوزة. أجابت مارغو.

- يا للأسف. وكان صوت الرجل يدل على الإهتمام.

- أتسافرين وحدك؟

أشارت توني برأسها إيجاباً ولمع في نفسها شعاع أمل ضعيف. إذا كان هذا الرجل هو المدير، فإنه سيساعدها. ولكن يبدو أصغر من أن يكون مديراً، بهذا البنطلون وهذا القميص الكارو ويبدو إنه من أحد المخيمين.

- أقبل بأي شيء. سأنام حتى على طاولة!

بدت على وجه محدثها ابتسامة وقال: أعتقد ان لدينا أكثر من ذلك. واستدار نحو آنسة الإستقبال وقال: ما رأيك بالغرفة رقم ١٣؟

- ولكن نحن لا نؤجرها لإنسان عادي.

- وأنا لست غير طبيعية أجابتها «توني».

فضحك الشاب مرة أخرى.

إنها مجرد غرفة من الخشب، والدوش فيها معطل، وغير مجهز بالماء البارد والساخن. والأكثر من ذلك أنه من المستحيل تحضير الطعام فيها. ونحن نتركها للحالات الطارئة.

- هذه حالته منها. أنا متعبة جداً ولست بحاجة لأكثر من سرير.

تقدم الشاب الى المكتب وهو ينظر إلى شعر الفتاة الأشقر.

- إذا كنت تريدين أخذ دوش ريثما تحضر لك غرفتك بإمكانك استعمال أحد حمامات الفندق، والعشاء يكون جاهزاً بين السادسة والسابعة والنصف.

- آه! هذا عظيم، شكراً. سأحضر حقيبتي. وبعد الدوش يصبح بأمكاني قبول دعوتك!

قالت لها الموظفة:

- إذا أردت أن تتسجلي عليك دفع خمسة عشرة دولاراً لليلة الواحدة.

قال الشاب: فلتكن عشرة. ونظر إلى توني وهي توقع أسمها.

- سيدة أو آنسة «برادبوري»؟ سألها مبتسماً.

- آنسة، أجابته مندهشة من هذا السؤال.

وضعت القلم من يديها ونظرت إلى وجه الشاب، وبدا لها قريب الملامح.

- هل أنت المدير هنا؟

- مدير ومالك بنفس الوقت، إنها مشروع عائلي. أنا «سيان

ستوارت» مد يده مصافحاً.

تفاجأت «توني» وفرحت بنفس الوقت وصافحت الشاب.

ـ سأحضر حقيبتي.

مع أنه لا غيوم في السماء إلا أن الفتاة رفعت غطاء السيارة زيادة في الحذر.

وشاهدت سفينتين في البحيرة. ويبدو أن الصيد هو أجد أهم وسائل التسلية.

كان المكان هادئاً وتمنت أن تبقى هنا أكثر مدة ممكنة. ولماذا العجلة طالما أن لديها ثلاثة أيام للتفكير. أمامها حتى يوم الثلاثاء لإرجاع السيارة التي استأجرتها.

فهي لا تحلم بأجمل من هذا المكان والفكرة جديرة بالبقاء.

«توني» لم تكن قد أخذت قرارها عندما جلست في صالة الطعام في الفندق. بعدما أن تناولت التورتة التي قدمت لها، لم تتردد. كان الطعام شهياً وبسعر معتدل بالنسبة لأسعار «كالغاري» وهكذا توفر بعض الشيء للإقامة هنا ثلاثة ليال. وبينما كانت تتناول القهوة أقترب «سيان ستيوارت» من الطاولة وسألها عن حالها. وكان يلبس بنطلوناً من القطن الخفيف وقميصاً باج يتناسب مع لون بشرته وشعره الأسود. وبدا لها بأنه بعيد من الزهو والغطرسة التي تترافق عادة مع الجمال.

ـ بإمكاني أصطحابك إلى غرفتك حالما تصبحين جاهزة. وأنا آسف لأنه ليس لدينا أفضل منها تقدمها لك.

ـ لا تقلق، أنا متأكدة أن كل شيء يسير على ما يرام.

وألقت نظرة من النافذة المقابلة فوجدت قطيعاً من الخيول متجمعاً قرب البحيرة.

ـ أظن أنني سأمدد أقامتي هنا، ألن تفرغ غرفة قريباً؟

ـ أكيد، أجابها الشاب المدير بفرح غداً صباحاً ستفرغ غرفة في الفندق.

ـ لست على عجلة من أمري، وقد أفضل أن أبقى حيث أنا.

ـ الفندق هذا مريح جداً خاصة وأنك ستتناولين طعامك هنا. نحن نقدم طعام الفطور الكامل بنفس سعر العشاء.

ـ فنجان قهوة وبعض السندويشات تكون كافية بالنسبة لي...

تفحصت وجه الشاب بتمعن. ولكن لماذا يبدو لها وجهه أليفاً. بقي سؤالها دون جواب.

ـ ألا تريد الجلوس؟ قالت له «توني» فأنا لست على عجلة من أمري.

ـ خذي وقتك؟ واتخذ لنفسه مكاناً مقابلاً لها وقال لها مبتسماً إن صحبتك تروق لي كثيراً.

نادى على الخادمة وطلب القهوة.

ـ عادةً لا نستقبل الكثير من الزوار الأنكليز هنا... هل أنت في إجازة في كندا، أن أنك من المقيمين هنا؟

ـ لسبب أدري، أعتقد أنني سأبقى في هذا البلد ولكن...

قطعت حديثها، فهي لا تريد أن تبوح بكل شيء.

ـ أتمنى أن أجد لنفسي عملاً في «كالغاري» لبضعة أشهر، هل السكرتيرات مطلوبات هناك.

ـ طبعاً، إذا كانت لديك الخبرة، فإن الكثيرين سيتقاتلون لأجلك!.

- كيف عرفت أنني أمتلك هكذا صفات؟ سألته بدهشة وهي فرحة بحماس الشاب.

- أنه منظرك، طريقة كلامك.. في الحقيقة، حتى الآن أعتقدتك عارضة أزياء.

هزت حاجبيها متسائلة.

- هل لديك موهبة التصوير.

- هذا كثير! أنا أهتم بالتصوير إهتمام عادي جداً. ولكني أظهر وأكبر بنفسي، آخذ بعض اللقطات «لمارغو» أحياناً وهذا يسليني - ملتفتاً نحو البحيرة - فانت لا تتصوري كم أن عملي هنا يسير على وتيرة واحدة!

- قلت بأنه مشروع عائلي. فهل أنت وحدك تتحمل كل المسؤوليات؟

- إن أخي الكبير يقوم بزيارات متكررة... وهنا كان صوته يشوبه المرارة.

- «راف» مشغول أكثر مني. وأعتقد بأنني أحمله العبء بطلب مساعدته لي عندما يستطيع.

الإهتمام الذي لمحه في عيون الفتاة الخضراء شجعته على الوثوق بها.

- نحن نملك عدة مشاريع. «راف» يديرها كلها. ما عدا مخيم بحيرة الذهب، الذي أديره أنا. لا أحب الأنغماس في الصيد والرياضة الشتوية! فليس أكثر من التسلية هنا..

«توني» لم تكن غبية، أنه ليس سعيد هنا، وعنده مشاكله.

- إذا كنت تكره عملك، لماذا لا تترك أخاك يستلمه؟ ستجد بالطبع أعمالاً أكثر إثارة في الشركة.

هز «سيان» كتفيه.

سأفشل، لقد جربت ذلك قبلاً، أنا أعرف أن أدير فندقاً أو مخيماً، ولكن قدراتي تتوقف هنا...

- على ماذا يتوقف هذا؟

- «راف»، ووالدتي، ورأي الشخصي.

- إذن أبحث عن عملٍ خارج النطاق العائلي!

- ماذا مثلاً؟

- أما لا أعرف... فأنا لا أدري ما هي أمكانياتك.

تأسفت «توني» للخوض في هذه المناقشة.

- التصوير مثلاً، أقترحت «توني».

- ليس لدي أية وسيلة للإنطلاق كمحترف. قالها متذمراً. وأنا حتى أبلغ الخامسة والعشرين من العمر سأبقى تحت وصاية أمي المالية، حسب وصية أبي. وهذا ما كان مع «راف» أيضاً، ولكنه بلغ هذا السن منذ تسع سنين!!

- أعتقد أن أخيك ليس موجوداً هنا الآن.

- سافر إلى «فانكوفار» منذ ساعتين تقريباً ليشتري طائرة جديدة طائرة خاصة؟ ولما لا... فكرت الفتاة قليلاً.

إن شركة ستوارت تبدو أوسع في أن تكون مكاناً لتمضية الوقت فقط.

فجأة، انتابها شعور بالعاصفة.

- أيقود سيارة بيضاء؟

- نعم كيف علمت.

ابتسمت «توني» وقالت:

- لقد التقينا على الطريق منذ ساعة. وعندما رأيتك أكتشفت أنك تمت إليه بصلة قرابة.

- لديك دقة بالملاحظة فإنك عرفت شقيق الرجل بمجرد

رؤيته بالسيارة!

ضحكت «توني» بإنزعاج.

ـ للحقيقة، كان بيننا أكثر من لقاء عادي. لقد تجنبنا حادث اصطدام. وكان الخطأ خطأي، فإني لم يعد بامكاني أن استنكر تصرفه.

ـ أتقصدين أنه كان فظاً؟ أتمنى لو كنت غير خجولة معه...

ـ كنت بمضطربة، ولم استطع أن أصمد أمامه ولهذا كنت مصرة على إيجاد غرفة أرتاح فيها.

ـ وهذا الغليظ لم يقدم لك المساعدة! سألها «سيان» ساخطاً.

ـ هذا غير مهم الآن. قالت «توني» أنا الآن أفضل وأفترض أنك لن تنتظره في هذه العطلة؟

ـ لا، من الطبيعي أن لا يعود قبل عدة اسابيع. إنه يعتبر أن عملي هنا ليس سيئا جداً.

ـ ليس سيئاً جداً؟ كررت «توني» القول حائرة.

ـ «راف» رجل عملي، وبصعوبة ننتزع منه أي ثناء...

هذا الوصف ينطبق تماماً على الشعور الذي أحسته «توني» في لقائها مع هذا الرجل.

نهضت وحملت حقيبتها.

ـ بإمكانك اصطحابي إلى غرفتي الآن.

ـ الغرفة تقع على المنحنى قرب البحيرة. فيها سريران وطاولات وكراسي. وعلى النوافذ ستائر قطنية مزهرة.

ثم إبتسم الشاب. وقال: أنني سعيد لأن قصرك أعجبك، ما رأيك بشرب كأس قبل أن نفترق؟

ـ لا، شكراً، ليس هذا المساء، أنا متعبة حقاً! آه! سؤال من فضلك، هل بالأمكان أمتطاء الخيول التي رأيتها قرب البحيرة؟

ـ طبعاً ـ لم يحاول سيان أن يخفي خيبة أمله ـ سأقول لـ «بيل» المسؤول عنهم أن يسجل أسمك في نزهة غداً الصباحية.

ـ أفضل أن أكون لوحدي.

ـ مستحيل، هذا مخالف للقانون.

ـ ولكني لست مبتدئة ـ أعترضت توني

تردد «سيان» وقال أفضل أن تتكلمي مع «بيل»...

ـ بهذه الحالة سأراه في النزهة، في أية ساعة يقدم الفطور؟..

ـ بين السابعة والثامنة والتاسعة. وبإمكانك أن تأخذي دوشاً في الفندق إذا أردت.

ـ شكراً، ولكني أعتقد أن غطسة في البحيرة تكفي.

ـ جيد،.. إلى الغد، ليلة سعيدة.

وأخيراً وحيدة! تنهدت «توني» فهي لم ترفض دعوة «سيان» فقط لأنها تعبة، مع أنه يبدو جذاباً، لكن لم يكن لديها الرغبة في سماع المزيد من مشاكله الشخصية. ويجب الإعتراف بأن «سيان» لم يكن خطه حسناً بأن يكون له أخاً كهذا. كيف يمكنه أن يجبر الشاب على القيام بعمل لا يعجبه. كما أن الشركة تستطيع أن تستخدم مديراً آخر لمخيم بحيرة الذهب؟ ها هي تفكر في أمور لا تعنيها! أنه «سيان» الذي يجب عليه الدفاع عن نفسه.

لكن «راف» ليس خصماً سهلاً.. تمنت «توني» أن لا تتواجه معه على نفس الطريق.

- ٢ -

في صباح الغد، كانت السماء صافية، خرجت توني لتستحم وكانت المياه عذبة، سبحت بقوة، ثم تركت نفسها تطفو على ظهرها.

كان المنظر جميلاً! وكل انطباع يتركه فيك تتمنى معه أن يدوم إلى الأبد.. بعد قليل ذهبت لتناول الفطور في الفندق. التقت «سيان» في الهول، بدا الشاب حامداً. قال لها ببرود:

- ألغيتْ نزهتك، لقد استدعي «بيل» لبعض الأعمال العائلية... نحن في موقف حرج.

لا أحد غيره يعرف التجول على الحصان.

- أتمنى أن أركب الحصان بنفسي. وسأكون حذرة..

لكن هيئة «سيان» المتردد لم تشجعها.

- رافقني إذا كنت تخشى على جيادك.

- أن خوفي هو عليك. أخاف أن تصابي بمكروه. فأنا لا أعرف شيئاً عن تلافي الخطر.

فكر لحظة، ثم أبدى مرونة. وقال:

- الجياد لا تزال في الإسطبل. هيا واختاري واحداً وأنت ستسرجيه.

- أستطيع أن أهتم بنفسي. وهذا ما يسرني.

- جيد، ولكني سآتي معك. فقد تواجهني بعض الصعوبات. يعتبر «بيل» الجياد كالإنسان: لا تحب العمل في الصباح. هل أنت جاهزة؟

كانت «توني» مرتدية بنطلوناً خفيفاً وقميصاً وحذاء رياضة.

- نعم.

كانت الجياد الستة قد بدأت بالرعي. لاحظت «توني» خصي وعليه ثوب رمادي جميل. إسمه «سيلفر».

- هذا الذي أخذته.

- آسف، لأن سيلفر خاص بـ «بيل» بإمكانك اختيار أي حصان آخر إلا هو.

وافقت «توني» وأختارت حصاناً أشقر طويل القامة. اقتربت منه وهي تحدثه بلطف. واستطاعت أن تفصله عن بقية الأحصنة. ظهر على «سيان» الدهشة عندما رأى توني تصطحب الحصان إلى الخارج.

- جيد، حقاً لديك الخبرة في هذا المجال.

- هذا يتوقف على نبرة الصوت. أجابته «توني» ضاحكة.

توجها نحو سقيفة صغيرة حيث توجد السروج. وبعد أن أسرجت «ديك» جلست «توني» على السرج. بنفس الوقت وصل الأولاد الثلاثة الذين كانوا على موعدٍ مع «بيل». فاقترحت عليهم «توني»:

بعد أن أنهي جولتي، أستطيع أن أنظم نزهة على الخيول. فلقد كان في العائلة التي كنت أعمل عندها أطفال، وأنا قادرة على أن اتحمل مثل هذه المسؤولية.

أشرق وجه «سيان» مبتسماً.

- آه، أني أثق بك ولكني لا أريد أن أفسد عطلتك.

- لا، أبدا - قالت معترضة - هذا ما يسعدني.

التفتت حول الصغار وقالت لهم بأن ينتظروها بعد الغداء للقيام بنزهتهم.

- شكراً كثيراً - قال «سيان» - سأحاول أن أجد أحداً ليحل محل «بيل» لبعض الوقت.

كوني حذرة...

ضحكت توني ورفعت يدها محيية. وانطلقت بالحصان، جمعت الزمام بيد واحدة ووجهت الحصان باصبعها وأغلقت ركبتيها. بعد قليل بدأت تزداد معرفة بهذا الحصان. كانت سعيدة وكان هذا أجمل صباح بالنسبة لها!

كان «ديك» يتبع طريقاً يبدو أنه يألفها. صعد التلة عبر ممر بين الأشجار وخرج إلى فسحة واسعة. وقبل أن يتوغلا في الغابة من جديد توقفت «توني» قليلاً كي تمتع النظر. فالبحيرة تمتد تحت الأقدام. وحولها الجبال المكللة بالثلج.

أحست «توني» بالقوة عندما رأت قمم الجبال الجميلة الصامدة منذ آلاف السنين.

هذا الشعور، وللأسف لم يدم طويلاً، فإن كثيراً من الهموم تلف «توني»، حاولت جاهدة أن تنسى ذكرياتها أمام هذه المناظر الخلابة. وللأسف كانت تقاوم هذا اليأس. بالنسبة لها حياة جديدة قد بدأت.

وكما وعدت، أصطحبت توني الصغار في نزهة بعد الظهر. مرت الساعات بسرعة.

ولكن عندما جاء أولاد آخرون يريدون أن يسجلوا اسماءهم للغد. أحنت توني رأسها واصطحبتهم إلى المدير. ترى هل أستطاع إيجاد من يحل محل «بيل»؟

لكن محاولات «سيان» لم تنجح.

اعتقد أننا سنعيد الجياد إلى المرعى، بإنتظار عودة «بيل». الزبائن مصرون. فإن النزهة على الجياد من أبرز النشاطات.

- نعم، لا حظ لنا. ولكن سنعود وقتاً آخر.

أحتفظ «سيان» بالسكوت، لاحظ الفتاة الحالمة وبدا صوته متردداً.

- هل تقبلين بهذا العمل - سألها - على كل أنت لست مستعجلة، أليس كذلك؟

فكرت «توني» كان العرض مغرياً.. أسبوعان أو ثلاثة في مكان تحبه، مع عملٍ تحبه يفيدها. ولكن تعترضها أشياء أخرى.

- لا استطيع البقاء - أجابت بحزن - يجب أن أعيد السيارة نهار الثلاثاء.

- سأدفع لك تكاليف الإيجار بالإضافة إلى أجرتك، أجابها «سيان» وسيكون سكنك مؤمناً

أمام تردد الفتاة، أخذ يترجاها ان تقبل.

- ليست لديك فكرة كم أن مساعدتك تنقذني، أني أخاطر في خسارة عدد كبير من الزبائن..

«توني» لن تقرر شيء. ولكن هذه المرة كانت أسبابها مختلفة.

- واخوك؟ سألته «توني».

- سيوافقني على ذلك. فيجب إيجاد من يحل مكان «بيل».

- ليس هذا ما أعنيه.

تراءت لها ضحكة الرجل الذي التقت به في الطريق

الساخرة. وأحست بالغضب.

ـ لا أتمنى أن أجد نفسي معه وجهاً لوجه. فمرة واحدة تكفيني.

ـ لن يحصل شيء «راف» غائب لمدة شهور أو لسنة. لن تكوني بالنسبة له إلا اسماً على أوراق الدفع.

قررت «توني» فجأة.

ـ لقد قبلت، سأبدأ من الغد مع هؤلاء الأربع مشيرة إلى الأولاد الذين ينتظرون بفارغ الصبر جوابها.

ـ عظيم! أعدك بأن الراتب سيعجبك!

حماس الشاب بعث في نفسها الراحة.

ـ سأكون معلّمة الفروسية في بحيرة الذهب، هذا لا بأس به.

ومع تتابع الأيام، سرت توني كثيراً بعملها، فركوب الخيل تسلية جميلة للأطفال.

وكذلك لكثير من الكبار، حتى أن الفتاة كانت ترفض بعض الزبائن كي تستطيع الجياد أن ترتاح.

بالرغم من أن «سيان» قدم لها غرفة في الفندق، إلا أنها أرادت أن تحتفظ ببعض الأستقلالية حيث هي في الغرفة التي على حافة البحيرة. وتخلصت كذلك من ضجيج الموسيقى الذي يتصاعد من صالة الفندق الكبيرة.

ليس الرقص هو التسلية الوحيدة في مخيم بحيرة الذهب. فإنهم ينظمون وجبات طعام في الهواء الطلق من حين لآخر. فالجميع يتجمع في الخارج ويعودون فيجتمعون حول الشواء اللذيذ.

«سيان» و«توني» كانا متجاذبين. كانت الفتاة ترى أن

علاقتهما لن تبقى مجرد صداقة.

أعجبت برفقة الشاب وكانت تحب الحديث معه. أما «سيان» فكان سعيداً جداً بعلاقته بها.

يوما، قبلت «توني» أن يصورها، وعندما رأت الصور تفاجأت «توني» كثيراً!

إن «سيان» يملك موهبة طبيعية في تصوير مواضيعه. وعندما عبرت له عن إعجابها أبدى «سيان» تواضعاً ملحوظاً.

ـ ذلك لأن وجهك هو كامل التعابير بشكله البيضاوي الصافي.

الصعوبة تكمن في العينين، فشكلهما المستطيل يعطي الصورة دقة لا يجب تفويتها.

ـ ليس لي قريبات صينيات ـ أجابت ضاحكة ـ فأمي كانت إيطالية.

نظر إليها «سيان» بحشرية.

ـ إنك لم تأت أبداً على ذكر عائلتك. حتى ظننت أن ليس لك أهل.

ـ إنهما كان مطلقين. أمي ميتة، وأبي أراه نادراً.

ـ كم لاقيتِ من العذاب.

ـ الإحساس الصادق الذي أظهره الشاب أثر عميقاً في «توني».

ـ من سنين طويلة عشت مع أبي حتى سن السابعة عشرة. ثم التقى بـ «جنيفر» و... لم نتفق نحن الأثنتين. هذا طبعاً بسبب غيرتي، فرحلت إلى لندن حيث وجدت عملاً.

ـ ألم يحاول أبوك إعادتك؟

ـ بلى، لكن وجد نفسه بموقع حرج، فـ «جنيفر» أيضاً تغار

مني. فوضعته أمام خيارين إما أنا وإما هي، والآن لديهما طفلان.

- وليس من مكان للأخت الكبرى. . . .

جذبها «سيان» إليه، وأسند خده على شعرها الأشقر. وهمس في أذنها.

- مسكينة يا «توني».

فكرت توني «أليس علي أن استسلم». . . ولكنها لم تقدر على مقاومة دفء ذراعي «سيان» حولها. وعندما أحنى رأسه ليطبع قبلة على شفتيها، لم تمانع أبداً، ولكن سريعاً ما أصبح الشاب ملحاً.

- أنا آسفة - تمتمت «توني» وهي تبتعد عنه، لا أقصد. . . .

- أما أنا فنعم - قاطعها بهدوء - وأخيراً فتحت لي قلبك.

ضاع جواب «توني» في ضجيج طائرة تحلق على علو منخفض من الفندق.

- هذا «راف» - قال «سيان» - سيهبط الآن.

لم تتمكن الفتاة من أن تمنع نفسها من الإنتفاض. ولكنها حاولت جاهدة أن تسيطر على نفسها ليس من داع لهذا الرعب. وجودها هنا شرعي. إنها تشتغل هنا. مهما كان رأي «راف» بها خلف مقود السيارة. فهو يشك الآن بمقدرتها. فقد قدمت براهينها خلال هذا الأسبوع.

أقترب «سيان» من النافذة ورأى الشيء الذي يستعد للهبوط.

- زيارة أخرى من زياراته الغير متوقعة ليفاجأني بالغلط. تمتم «سيان».

- هل هذا يعني أنه يريد فقط إظهار تفوقه؟ - أقترحت هذا «توني» دون أي أثبات.

- أشك بذلك. . .

سأذهب إلى التجوال - قالت توني -

مع قليل من الحظ، لن يكون «راف» هنا عند عودتي، سيكون لديه بعض الأعمال. . .

وفهمت من «سيان» أن أمه تسكن في «كالغاري». وعندما عادت توني من النزهة، كانت تتمنى أن يكون «راف» قد غادر الفندق. فمجرد لقاءها به سيترك لديها ذكرى غير محببة لن تعجبها أبداً. لكن أمانيها خابت. فالأخوان أقتربا من السقيفة بنفس اللحظة التي كانت فيها «توني» ترتب الأسرجة. توقف «راف» ليتفحص الحصان الخصي الرمادي الموجود داخل الأسطبل. والتعابير التي ظهرت عليه عندما رأى الفتاة تدل بوضوح على أن «سيان» لم يخبره بدقة عن السائسة الجديدة، اقتربت منه «توني» وابتسمت له وحاولت أن تظهر ثقتها بنفسها.

- صباح الخير، سيد «ستوارت»، أتمنى أن تكون صبوراً، فإن أحد الجياد فقد الحديد، ونحن تأخرنا. . .

لم يجب، أنتظر أن يكون الأولاد قد تفرقوا. ولكن عندما نطق أخيراً. كان صوته يرتجف من الغضب.

- هل أستطيع أن أعرف بماذا تلعبين؟ ماذا تفعلين هنا؟

قاومت «توني» رغبتها في توجيه ملاحظة جارحة له. وقالت بلهجة مهذبة:

- أخشى أنني لا أفهمك. كنت متعبة، فتوقفت في أول مكان أعجبني. . .

- ولكن مضى أسبوع على ذلك!

ـ اه، أهي مدة إقامتي التي تقلقك! السبب بديهي. «سيان» كان بحاجة لمن ينوب مكان «بيل» . . فبقيت.

ـ ما هي مميزاتك؟

ـ أعترف بأن ليس لدي أي دبلوم. ولكن أعتقد أن هذا العمل لا يحتاج لمثله.

ـ أتظنين أن أياً كان يستطيع أن يتحمل مسؤولية مجموعة من الأطفال؟

ـ لا، أبداً. أجابت الفتاة وهي تحس أن الخرق البارد يتطاير منها: أعتبر نفسي مؤهلة. كان مستخدمي السابق يطمئن على أولاده الثلاثة معي في النزهة على الحصان.

ـ ولماذا تركت عملك عندهم.

أجابته ببرودة: ـ لأسباب شخصية.

دخل «سيان» في الحديث.

ـ ألا ترى يا «راف» أن سؤالك كان قاسياً؟ لقد أنقذتني من موقع حرج، كما وأنها تتحلى بالفروسية.

تابع «راف» النظر إلى الفتاة.

ـ حسن، أثبتي لي ذلك، فلنذهب سوياً على جوادين، هذان الحصنان ـ مشيراً إلى جوادين الخصي الرمادي، وآخر كميت. من جهة أخرى لماذا هما غير منفصلين؟

ـ لأن «سيلفر» قادر على القفز فوق السياج وبهذه الحالة «كاسبر» سيتبعه.

أصر «راف»:

ـ ولكن «بيل» كان يجعل «سيلفر» على رأس القطيع، وأنت لا تفعلين مثله.

وفي الواقع لم تكن تـوني بعد سيطرت على سيلفر. وهي

لاتستطيع إلا إذا كانت الجياد كلها مشغولة مع الأولاد. وبإمكانها الإعتراف بذلك بدون خجل. ولكن ليس له. . . فإنه سيأخذ كلامها على أنه أعذار. فهزت كتفيها.

ـ أحب التغيير من حين إلى آخر.

قال بصوتٍ عذب:

ـ فهمت. . . هيا لننهي بعض الأعمال قبل الذهاب.

ـ التقت نظرات «توني» بنظرات سيان والقلق الذي لاحظته فيها أعادتها إلى قرارها.

إنها لن تخاف من «راف ستوارت»!

وكان راف بلباسه الأصفر وقميصه الأزرق يبدو مختلفاً عن الرجل الذي التقت به الأسبوع الماضي. ولكن تعابير وجهه لم تتغير، فهو لا يبتسم ابتسامة طبيعية، وهو أيضاً يتمادى في تهكمه. . . فكرت «توني» وهي تفك «ديك» هل يكون «راف» من أولئك الذين يتركون بعض الكلمات تؤثر على كل حياتهم؟

ومع ذلك يخيل إليك أنه ما من أحدٍ، يمكنه أن يجرح «راف»!

حضرت «توني» سيلفر وكاسبر. وكان راف ينظر إليها دون أن يخرج عن طبعه الوقح.

كما أنه لم يعرض عليها المساعدة.

ـ كلا، أصدر أمره في اللحظة التي كانت تهم بها «توني» لركوب الحصان «الكميت»

خذي سيلفر.

دون أن تبدي أي شيء على ملامحها، أطاعته «توني» ومن فوق جوادها نظرت إلى «سيان» مبتسمة. بينما كان «راف» يتخذ مكانه على ظهر الحصان الآخر.

«لا تقلقي أبداً، فإن مزاجه لا يعجبني...»

ـ سنعود بعد نصف ساعة تقريباً. هذا لن يدوم طويلاً....

أما لهجته التي لفظ بها هذه الكلمات فقد انذرت توني بالخطر فجأة.

وأحست أنه يفكر في أشياء مقلقة. ولكنها لم تعرف ما هي.

سارت أمامه في الممر فوق البحيرة، ولم تجد صعوبة وهي على ظهر الجواد في فتح وإغلاق باب السياج الذي يرسم حدود الحقل، وكانت «توني» مسرورة لانقياد «سيلفر» لها.

وكان ستيوارت يراقبها صامتاً. ولم يفتح فمه إلا ليقترح على الفتاة ألا تترك الأغصان المنخفضة التي أبعدتها عن الممر. كانت تريد أن تقول بأن هذا كان حادثاً ولكنها غيرت رأيها... كانت منتصبة على الحصان ولم تلتفت إلى الوراء ولكن وجود «راف» خلفها كان يقلقها! على الأقل كان سيلفر مطيعاً وقد كانت مخطئة لأنها لم تمتطيه كثيراً حتى الآن....

وكان الحصان الخصي الذي لم تلاحظه «توني»، انطلق ليقفز فوق أرومة مطمورة في الطريق، أوشكت «توني» أن تقع من على صهوته ووجدت صعوبة في السيطرة عليه لكثرة ما ثار وزمجر.

فهتفت «توني» بعد أن تمكنت من إيقافه.

ـ حيوان غبي! لقد أخترت الوقت الغير ملائم لتلعب معي هذا الدور!

بقي «سيلفر» ساكناً. وأخذ يهز أذنيه، ويدير رأسه وينظر إليها نظرة شزرٍ مما دفع «توني» إلى الضحك.

ـ فقالت توني وهي تداعب عرفه: أيها الشيطان الصغير. سأروضك، سوف ترى...

وصل «راف» بنفس اللحظة التي لفظت فيها كلماتها الأخيرة. فقاطعها قائلا:

ـ أشك كثيراً بذلك. هل سيثبت لك العكس؟

فأجابته الفتاة بسرعة.

ـ سأتمكن منه.

ـ نعم بعد أن تعديه بالحماس. ماذا ستفعلين لو كان أمامك مجموعة من المبتدئين؟ فالخيول تتبع رئيسها. وأنت تعلمين ذلك. بالتأكيد ستحصل كارثة.

ـ أنت حقاً تبحث عن حجة، يا سيد «راف».

ـ قرّب «راف» حصانه حتى لمست ركبته ركبة «توني» ولمعت عيناه الرماديتين.

ـ ولماذا الحجة؟

ـ كي تتخلص مني. محاولة التحكم بغضبها. أنت لاتتحمل فكرة أن «سيان» أستخدمني دون أن يأخذ رأيك. أليس كذلك؟ لقد عهدت إليه بكل أعباء الإدارة، ومع ذلك ترفض أن يتخذ أقل القرارات.

وهنا قست تعابير «راف»

ـ أراكما مترابطين وليس بالعمل فقط...

فاشتعلت وجنتا «توني»

ـ ماذا تعني بذلك؟

ـ عليك أنتِ أن تشرحي لي ذلك... لقد رأيت الصور التي التقطها أخي لك. ولقد أخبرتني مارغو إنكما تقضيان معاً كل السهرات، فماذا تفعلان بالليل؟

فاحمرت «توني» من الغضب وحاولت جاهدة أن تحافظ على بعض الهدوء والبرودة.

ـ حتى لو كان لك الحق بهذا السؤال، فلست مجبرة على الإجابة. «سيان» ليس طفلاً يحتاج إلى مراقبة!

ـ عمره ثلاثة وعشرون عاماً، وهو لم يقاوم من قبل أمام وجه جميل.

ـ بينما أنت لديك خبرة عظيمة، أليس كذلك...

ـ قبل أن تتوقع منه حركة، أحتضنها «راف» وجذبها نحوه. وضغط فمه بقوة على فمها، ولم تستطع توني أن تبتعد عنه.

أخيراً بعد أن تركها، وضعت يديها على شفتيها بإنزعاج.

فقالت له بإحتقار:

ـ هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تعرفها كي تهاجم.

ـ أنت تستحقين ذلك. لقد كان «كريغ شانون» بالغاً أيضاً. أهذا مثل يكفي؟

ـ شحبت «توني» فجأة. ونظرت إليه، وخرست من الذهول. وأخيراً نجحت في الكلام:

ـ ومن أين تعرفه؟

ـ إنه صديقي هو وزوجته... وبعد أن لاحظ قوة هذه الصفعة تابع قائلاً:

لقد زرتهم منذ عدة أيام، وحدثتني «ديان» عن مربيتهم السابقة. حتى أنها أرتني بعض الصور مع الأطفال. لم تكن تفكر بأن فتاة ذكية مثلك تجرؤ على إغواء زوجها...

دهشت «توني» بهذه المصادفة. كيف، هل هذا ممكن؟ لماذا يجب أن يلتقي «راف» مع عائلة «الشانون» من بين كل هذه العائلات الكندية؟

ـ ماذا لديك للإجابة؟ ـ سألها مستهزءاً ـ كنت أعتقد أنك ستسرعين في الرحيل...

بدأت «توني» الكلام فقالت:

ـ ليس الأمر كذلك... ثم توقفت عن الكلام، فلماذا تحاول هي دحض اتهامات هذا الرجل الذي يحاكمها من خلال معلومات وصلته عنها؟ بالطبع اعترف «كريغ» لزوجته بأخطائه كي يشرح لها سبب رحيل المربية.

حقاً أن توني حاولت أن تفتنه. كما وأنه هو أيضاً أعجب بها!

فانتقدها «راف»

ـ تابعي، ليس بإرادتك أليس كذلك؟ لقد استسلمت لعواطفك...

فكرت «توني» أنه من غير المفيد محاولة إيجاد المبررات... وعلى كل حال فهو لن يصدقها. فأحنت رأسها وقالت:

ـ وماذا يهم، لقد رحلت قبل حصول أيه مشاكل.

قال «راف» بقسوة:

ـ وأنت ستغادرين بحيرة الذهب بنفس الطريقة، وعندما نصل إلى المخيم، أريد منك أن تحضري حقيبتك وتغادري المكان قبل الليل.

ـ «وسيان»؟

ـ لست بحاجة لأن تشرحي له شيئاً. دعيه يعتقد أنني طردتك لعدم كفاءتك. وهذا السبب ليس بعيداً عن الحقيقة.

تجاهلت «توني» الإهانة ورفعت رأسها تريد العودة. وقالت له بجفاف:

ـ سر أمامي، كي لا ارميك ببعض الأغصان على وجهك.

ـ حاولي فقط، وستنتظرين مني رداً مناسباً. سألحق بك.

ولم يتبادلا بعد ذلك أية كلمة. وعندما وصلا إلى الإسطبل، نزلت «توني» عن الحصان وأطلقته بعد أن رفعت عنه السرج. ثم توجهت إلى غرفتها. ولاحظت أن «راف» يراقبها فمشت بخطى ثابتة. كم سترتاح لتركها هذا المكان! ولكن في أعماق نفسها تحس بالندم لتركها البحيرة. وعملها مع الخيل والأسبوع الجميل الذي عاشته هنا. آه، لماذا جاء «راف» بسرعة؟ جمعت أغراضها بسرعة وابتعدت عن المقصورة التي كانت قد بدأت تحبها.

ترددت للحظة أمام قرارها بعدم توديع «سيان» فيجب عليها مخاطبته، أأعجب ذلك «راف» أم لا.

تسلحت «توني» بالشجاعة. ودخلت إلى هول الفندق. ومن خلال باب مكتب المدير كانت تسمع صرخات النقاش الحادة. وفي اللحظة التي اقتربت فيها، انفتح مصراع الباب وظهر «سيان» على عتبته، ورأت «توني» على وجهه دلائل لم تشاهدها من قبل.

ـ كنت ذاهباً للبحث عنك، أدخلي، أريد أن أتحدث معك.

ظل «راف» واقفاً عند النافذة، مكتفاً يديه والاضطراب بادياً عليه، وقال لها.

ـ جئت تتشفعين لعملك؟

صفق «سيان» الباب وراءها.

ـ أني أكرر لك: إذا ذهبت «توني» فأنا سأتبعها.

فانتفضت الفتاة قائلة:

ـ ماذا تقول؟

ـ أني أعترض على طردك، لأنه ليس مبنياً إلا على أراء شخصية، سخيفة. وإذا سحبت مني سلطتي هنا، فإني اترك كل شيء!

لم تجرؤ «توني» على النظر إلى «راف» ولو جاء كلام «سيان» في غير هذه الظروف لكانت صفقت له، ولكن في هذه اللحظة بالذات أحست بالحاجة إلى الهرب. فشرحت له بهدوء:

ـ «سيان» .. لا أريد أن أكون أنا السبب في خلاف عائلي. أريد فقط أن أقول لك إلى اللقاء.

ـ لن أدعك ترحلين يا «توني»! تفضلين البقاء أليس كذلك؟

ـ حاولت التهرب من السؤال كي لا تكون كاذبة.

ـ يجب إيجاد موظفاً مؤقتاً..

ـ أني لا أمزح، أجابها.

ـ إذا رحلت سأرافقك.

ـ أدركت الفتاة بأنه سينفذ تهديده.

وضعها في موقف محرج.

ـ فإذا اختارت أن تجامله محاولة إخفاء عدم رغبتها في مرافقته لها، إذا لا يبقى سوى أن تكون حليفته ضد أخيه....

ـ لماذا لا تخبره الدافع الحقيقي وراء طردك لي؟ سألت «راف».

ـ هل ستنجح يا ترى في ردعه؟

أبرقت عيون الشاب. وقال:

ـ قولي له أنت بنفسك.

ـ إني أنتظر بفضول سماع روايتك.

فاستسلمت «توني».

ـ كنت أعمل سابقاً عند عائلة «شانون» وتابعت كلامها دون أن تلحظ علامات الدهشة التي بدت على وجه «سيان» ـ قائلة: الأسباب التي دفعتني لترك العمل هي محض شخصية.

كانت الوسيلة الوحيدة للتخلص من محاولاته المتكررة هي مغادرتهم.

ـ أحسنت، رد عليها «راف» مستهزئاً.

ـ لقد صدقتك أكد لها ذلك «سيان» أن كريغ لا يعرف أبداً مقاومة النساء.

ـ وخاصة إذا هن شجعنه! لقد أعترف «لديان» بأنه كاد أن يقع تحت إغراء فاتنتنا الإنكليزية..... قال «راف».

فقاطعته «توني»:

ـ إسمع، إن ماتظنه بي يدفعني إلى السخرية. ما يدفعني للمتابعة هو ثقتي بأن أخاك يعرف ظروف رحيلي جيداً.

وضحكت «لسيان».

ـ شكراً لك على تحملك يا «سيان».

ـ سأبقى على موقفي. أكد بذلك قبل أن ينظر لأخيه الأكبر نظرة تحدٍ.

ـ وأخيراً ماذا تعني بذلك؟

ضحك راف بأحتقار.

ـ إنك أغبى مما كنت أعتقد!

ـ «سيان»!

ـ أمسكت «توني» بيد الشاب التي كادت أن تصل إلى «راف».

ـ «سيان» أن الأمر لم يصل إلى هذا الحد.

ـ معك حق.

ـ تلقت «توني» نظرة إحتقار من «راف».

ـ لتبقين حتى عودة «بيل»، أني لا أتحمل فكرة رحيل أخي مع إمرأة مثلك، وأنت تعلمين ذلك جيداً!

فتحت فمها لتعترض، فقاطعها «سيان» قائلاً:

ـ «توني»، أرجوك، وافقي من أجلي...

طالباً ذلك بحق الصداقة التي تجمعنا وفهمت «توني» حقيقة مشاعره فهو لا يستطيع التراجع عن ما قاله محافظة على ماء وجهه.

ـ حسناً، قالت «توني». وافقت. وسأبذل جهدي لأسعاد زبائنك يا سيد ستيوارت، ثم أضافت ملتفتة إلى «راف» هذا هو سبب وجودي هنا.

- ٣ -

خافظ «سيان» على صمته عند مرافقته لها إلى غرفتها.

ندمت الفتاة الآن لكونها سمحت لنفسها بالتورط في هذا المسألة. لم يبقى لها سوى إنتظار الفرصة للتخلص من هذا المأزق.

وما كان يواسيها أن «راف ستيوارت» سيرحل قريباً.

وبدونه الحياة في منتجع بحيرة الذهب سيكون محتملاً...

- همس لها «سيان» وهو يضع لها حقيبتها جانباً شكراً لك على موقفك، أني لا أعتقد أن «راف» سيحاول السيطرة علي مجدداً لأني سأتصدى له من الآن وصاعداً.

استنتجت «توني» بأن «راف» كان سيتصرف بطريقة مختلفة لو أن أخاه الأصغر كان أكثر حزماً. ولكنها طردت هذه الفكرة.

«راف ستيوارت» لا عليك أي عذر!

- هو بدون شك يتصرف بعفوية.

- نتمنى أن يكون صادقاً.

ابتسمت لسذاجة الشاب.

- أنه يخاف أن أغويك.

- أني لا أحلم بذلك، قالها «سيان» قبل أن يتابع:

- نحن إنتصرنا، بكل الحالات.

لم يتعارضه «توني». هذا النصر كان يعني لها شيئاً... ولكن لماذا تخفي فرحتها؟ فقالت له:

- نعم لقد انتصرنا..

- هل تحبين أن نمضي السهرة معاً بعد العشاء؟

- أبصحبة أخيك؟ لا شكراً.

- عندي نفس الشعور. لحسن الحظ، «راف» لن يتأخر هنا. وإذا ذهبنا في نزهة غداً؟ ستتناول الغذاء ونرقص.

- فكرة ممتازة، جاوبت ضاحكة. «سيان» هل من الممكن أن تتركني لأني أريد تغير ملابسي قبل العشاء؟

-بشرط أن تعديني بالرقصة الأولى.

- أعدك بذلك.

سرّت لأنفرادها بنفسها كي تعيد تنظيم أفكارها.. لقد كان لها ما يكفي من «راف»... ومن الرجال عامة، لماذا يلاحقونها دائماً؟..

إنها تعرف الإجابة بالطبع.

إن نظراتهم إليها كافية. ساقاها الجميلتان، شعرها الذهبي، ووجهها الملائكي يضفي عليها سحراً فاتناً. لقد أخبرها بذلك «راندي» من قبل، وكذلك «كريغ شانون ذلك المساء عندما دخل غرفتها...

إرتجفت «توني» لذكراه، لكنها سبق أن تلقت الدرس، وهي أكثر حذراً الآن!

أحداً من الأخوين لم يظهر على العشاء. فتناولت «توني» عشاءها بسرعة متفادية لقاءهما. تأخر الوقت، فمن المؤكد أن لا يرحل «راف» هذا المساء، ولكن مع قليل من الحظ سيغادر

المنتجع غداً. ولن تراه بعد الآن...

عند عودتها إلى الشاليه أرتدت ثياب السباحة وذهبت للإستحمام في البحيرة. كان الماء صافياً، وسبحت طويلاً على ضوء الغسق الحالم.

وعندما عادت إلى الشاليه، أرتدت ثياب النوم وحضرت كوباً من الشوكولا الساخن وتناولته وهي تتمشى على درجات المدخل حيث كان الهواء لطيفاً ومنعشاً، والقمر يرتفع ببطء فوق البحيرة.

بعد قليل، سكن كل ضجيج حولها، وبقيت هي وأفكارها المشوشة التي حرمتها من النوم.

سيكون الغد نهاراً هادئاً ولن تدع ما قاله لها «راف» يؤثر عليها...

ولكنها لم تشعر باقترابه منها.

- ستصابين بالبرد ببقائك خارجاً.

نهضت «توني».

- كنت ماضية، تصبح على خير.

- انتظري... أريد أن أتحدث معك.

قالها بنبرة ناعمة لم تعهدها به من قبل.

- من الأفضل أن نتابع حديثنا في الداخل، قال متابعاً.

- إذا كان بنيتك ترداد ما سبق أن رددته من حماقات فهذا لن يجدي نفعاً، وسيكون مضيعة لوقتك.

هزّ كتفيه.

- فليكن، كم تطلبين مقابل رحيلك حالاً؟

- أندهشت «توني» وكان رد فعلها الأول أن ترمي هذا الرجل بحجر على وجهه وقلبه.

- كم تعرض علي؟

- خمسة آلاف فرنك.

تفحصت «توني» تعابير وجهه الجامدة، فلمحت على وجهه إبتسامة ساخرة. فمدت يدها وهي تنظر في عينيه مباشرة.

- أعطيني إياه.

أخرج النقود من جيب قميصه.

- أتريدين أن تتأكدي؟

- كلا، هذا ليس ضرورياً وتناولت رزمة النقود ومزقتها ونثرتها في وجهه.

فضلت الفتاة السكوت، وهي تنظر إليه قائلة:

- هذا رأي بمالك! أجابته بتحدٍ دون أن تخرج عن هدوئها.

لم يحرك «راف» ساكناً. ويبدا وكأنه سينقض عليها.

- «راف» لن أرحل. أعلنت «توني» بهدوء. فكر بما تشاء، أني لا أخاف منك. والآن إذا لم يكن عندك مانع أريد أن أخلد إلى النوم.

في اللحظة التي استدارت بها للدخول أندفع «راف» إلى الداخل وأغلق الباب وراءه.

لم تستطع مقاومته لهول المفاجأة، فرفعها بين يديه القويتين ووضعها على السرير ورمى بثقله عليها وأمسك بيديها بشكل لا تستطيع معه الحراك.

وقال لها: أنت لا تستسلمي، هذا ما أخبرني به «كريغ»...

- لم يحصل شيء. صرخت «توني»، كل ما أخبر به كذب.

- حقاً!

توجه إليها بنبرة مليئة بالغضب.

ـ ألم تثيريه لمدة أسابيع حتى تملكت منه.

ـ كلا.

ـ أنت كاذبة!

كنت تتمنين أن تعلقيه بحبالك لكي يصل الخبر إلى «ديان»، ثم تهدديه بذلك! أنت كنت تعلمين بأنها ستتركه لو كان عندها أدنى شك بأخلاصه!

ـ «كريغ» لقد عاود محاولاته عدة مرات. آه فقط لو توقف عن ذلك!

ـ طبعاً، فأنا ألاحظ نفوذك على «سيان»، فهو على قدر كبير من السذاجة وهذا يناسبك!

ـ هو لا يصدق بسرعة كما يخيل إليك، وسيكون تصرفه سيئاً لو عرف كيف تعاملني!

ـ ردت عليه توني ـ محاولة تبرأة نفسها. وهل تريده أن يعلم بأن أخاه تعدى على امرأة؟ ويتهيأ لي بأنك جدير بذلك!

بعد لحظات أدركت أنها تكلمت كثيراً. وكانت تعابير «راف» أصبحت أكثر تصلباً..

وبزهو نظر إلى جسد الفتاة الغير قادرة على الحركة وضحك ضحكة إحتقار ورفعها.

وهنا أصبحت توني حرة.

ـ سيأتي يوم تندم على ذلك، ولكني أرجوك أن تدع «سيان» وشأنه!

أغلق الباب وراءه، أحست «توني» بألم في ساعديها. وسيطر عليها الغيظ الأعمى. فهو لم يترك لها فرصة لتشرح له! ويدفعها أحساسها لأن ترحل فوراً. بعيداً عن آل «ستيوارت»

ومشاكلهم. ولكن كبرياءها منعها من الهرب وكأنها مذنبة. كما وأنها وعدت «سيان» بالبقاء حتى عودة «بيل». وستلتزم بوعدها، مهما حاول «راف» منعها.

وفي الغد عندما دخلت الفندق لتناول الفطور. أندهشت «توني» عندما علمت بأن «راف» قد رحل. هل قرر التخلي عن العراك؟

ابتهج «سيان»، وعدّ نفسه منتصراً. ولم تحاول الفتاة أن تثنيه عن أوهامه.

فهو بحاجة لشيء من الدعم. ومضت العطلة بشكل جيد. وكما وعدها «سيان» نظم سهرة راقصة في الهواء الطلق. ورقص الرقصة الأولى مع «توني». وقال لها ضاحكاً:

ـ لا تظنين أنه يكفيني منك هذا القدر البسيط من المرح. وساترك لك زمام الأمور.

ردت عليه «توني» ببعض المجاملات ووعدت نفسها أن تبتعد عن كل ما يتعبها.

ولحسن الحظ أن الشباب الثلاثة الذين ينزلون في الشاليه المجاور لها قدموا لها المساعدة، فلقد أضفوا على المكان روعة كبيرة بعزفهم الجميل على الغيتار.

جلست «توني» بجانب أحد الموسيقين الثلاثة، وتجاهلت إشارة «سيان» إليها بأن الكرسي الذي بجانبه غير مشغول. واعتبرت أن اهتمام الشاب بها هو شيء عابر وهي تفعل حسناً بوضع حدٍ لإغراءاته. وحذرها لا بد منه!

وفي الأيام التالية، وجدت «توني» نفسها لاتستطيع مقاومة لطف «سيان» ودعواته. وهو كان يسعى بدوره لتوطيد صداقتهما. ولكن كم سيلاقي من جراء ذلك من متاعب؟

كانت «توني» مرتاحة مع جيرانها الموسيقين الثلاثة الذين يقضون النهار بالصيد في البحيرة. وفي المساء يتبادلون الحديث حول الصيد أو الفروسية.

ولكثرة حبها للمرح انضمت للمجموعة. وذات مساء سألها أحدهم.

ـ ستبقين هنا طيلة فصل الصيف؟

فأجابته «توني» وهي تحاول أخفاء حزنها.

ـ لا، أني أحل مكان المسؤول مؤقتاً. وعليه أن يعود قريباً.

وفي المساء أخبرها «سيان»:

ـ لن يعود «بيل» قبل أسبوع أو أسبوعين، وباستطاعتك البقاء لمدة أطول أليس كذلك؟

ترددت «توني» ولكنها فكرت بأن رحيلها سيضع «سيان» في موقف صعب، نظراً لأن الفروسية من أهم نشاطات المنتجع، مما سيجعل الزبائن يتزمرون. علاوة على ذلك، علاقتها في «سيان» كانت واضحة. لقد أمضت أسبوعين هنا... وأسبوعان آخران أيضاً ليس مشكلة!.

ـ شخصياً، ليس لدي أعتراض. ولكني أتساءل عن موقف أخيك...

ـ هذا شيء لا يعنيه.

ونظر إليها وقد أشرقت عيناه.

ـ توني، هل تعلمين أن وجودك هنا أحدث تغييراً في هذا المكان؟

وهنا ضحكت «توني» لأنها أحبت المكان بالفعل. ثم قالت له:

ـ ليس لدي وقت لأضيعه في سماع مجاملاتك، فأن عملي ينتظرني...

وبالرغم من كلام «سيان». لم تكن توني متأكدة من موقف «راف». لقد سمح لها بتمديد إقامتها خلال غيابه. ولكن هل سيوافق على المهلة الجديدة؟

فالعكس سيكون صعباً. وبذلك يضطر إلى طردها. ولكن «سيان» لن يوافق بالطبع. وسيقف بحزم تجاه تسلط أخيه.

مضى أسبوع، وراف كان قد رحل. وكان واضحاً أن «سيان» كان يعنيها من خلال قراره. ولكن الشاب لا يستطيع أن يكذب فقد بدا عليه الأبتهاج.

شهد يوم الجمعة نشاطاً كبيراً. فأكثر زوار المنتجع سيغادرونه غداً.

ولذلك يذهب اكثرهم لركوب الخيل، وهكذا تأخرت توني كثيراً في عملها.

دهشت «توني» على العشاء عندما لم تر «سيان» الذي كان من عادته أن يشاركها شرب القهوة كل مساء. فسألت عنه إحدى الموظفات.

ـ إنه بصحبة أخيه «راف» منذ ساعة تقريباً. وقد حجز «راف» غرفة له فمن المؤكد أنه سيمضي عدة أيام في المنتجع.

ـ وعندما عادت «توني» الى غرفتها تساءلت هل سيطول انتظارها قبل أن يزورها الأخ الأكبر. بقيت هادئة ولكن فكرة حصول شجار معه لم يرق لها أبداً، ولكن هذا غير حتمي؟ فإن «راف» لم يبد أشياء حتى الآن، ولكن هل ستحل المشكلة إذا تصالحا. إنه يريد أن يراقبها عن كثب.... لن يجد شيئاً فهي و«سيان» أصدقاء فقط.

دعاها الموسيقيون إلى السهرة بمناسبة رحيلهم. ولكن توني رفضت لأنها كانت جداً متعبة. فسألها أحدهم:

ـ هل سنراك في العيد السنوي الذي سيقام بعد عدة أيام في «كالغاري»؟

حاولي أن تأتي عندما تنهي أعمالك هنا. فهذا حدث لا يُفوّتْ!

ارتفع الصخب والضجيج، تمددت على السرير حتى ساعة متأخرة من الليل لكنها لم تستطع النوم. فنهضت وارادت وضع حدٍ لهذة الضوضاء. فارتدت قميصاً وبنطلوناً وأخذت تقرع على باب الجيران. فاستقبلها «ميك» الأكبر بينهم.

ـ هذه أنت؟ انظروا من هنا، لقد غيرت رأيك، تفضلي كأساً...

ـ لا، شكراً، جئت راجية منكم أن تخففوا الضجيج ولو قليلاً. فإن الوقت متأخر.

ـ بالطبع، وطلب من أصحابه أن يخفضوا صوت الموسيقى.

لم تلاحظ «توني» أي فرق يذكر. فالضجيج مستمر. هزّ «ميك» كتفيه.

أنتظرت الفتاة أن تنتهي السهرة، ولكن أين هم الأخوة «ستيوارت»؟ أليس من واجبهم مراقبة النازلين عندهم!

بهذه اللحظة بالذات ظهر «راف» أمامهم، ودخل الغرفة ثم أختفى بين المدعوين وفجأة سكتت الموسيقى، وبدأت أصوات الأعتراضات ترتفع.

ـ كفى بالنسبة لليوم. قالها بحزم. فليخرج الجميع فوراً!

تفرق الجميع منزعجين.

ـ أنصحك بأن تفعل كأصدقائك ـ قال راف لـ «ميك» الذي بدأ عليه التردد.

فأطاعه الشاب.

مدّ يده فسلم على توني ودخل. فتحملت «توني» نظراته الرمادية وتهيأت للعراك.

ـ حسب النظام، يجب المحافظة على الهدوء بعد الساعة الحادية عشر تماماً. أليس كذلك؟

قالت توني ببرودة. لو أنك تدخلت قبل ذلك لكان من الممكن أن يستطيع المرء أن ينام...

ـ سأتغاضى عن خطئهم لأنها ليلتهم الأخيرة. شرح لها بهدوء استغربته الفتاة، أرى بأنك جئت تشتكين من الضجة.

أحتفظت توني بالصمت واستغربت هذا الأنقلاب المفاجيء في موقف «راف» وأرادت أن تفهم.

ـ أين سيان؟ سألته توني، ولكنها لم تلحظ أي تغيير على وجهه.

ـ قلت له بأني سأتولى بنفسي أمر هذا الضجيج. تعالي سأرافقك إلى غرفتك.

ـ لا تبعد أكثر من خطوتين. وأفضل أن أكون وحدي. شكراً.

ـ فهمت. قالها بصوت ناعم ثم أضاف لقد كنت وقحاً حقاً. كنت أعتقد أنك تحضرين صفعة جديدة.

نظرت إليه توني في الظلام وسألته بصوت مرتعش.

ـ والآن.

ـ لدي الوقت الكافي للتفكير. لقد أسرعت في اتهامك. لقد كان «كريغ» هو البادىء بالتعرض لك و...

- كريغ هو الذي قام بكل العروض لي - قاطعته توني - وإذا كنت لا تصدق، فإن ندمك لا يهمني مطلقاً!

فحدق بها «راف» جيداً قبل أن يقول:

- حسناً. علمت بأنه كان يكذب لأنقاذ زواجه.

- ما كان زواجهما ليتأثر لو أنه تركني بسلام، لقد فقدت عملي بسببه!

- ولكنك وجدت عملاً آخر. ومختلفاً تماماً. ولكنه بنفس الظروف.

وهنا عادت «توني» لموقف الدفاع.

- أتقصد «سيان»

- لا أبداً، أنك تمرحين هنا بحرية أكبر. «سيان» صغير بالنسبة لك وهذا ما أريدك أن تفهميه.

- ليس للعمر أهمية بالنسبة لمغامرة مثلي!

فابتسم راف إبتسامة مكر. وقال:

- أنا مخطىء بهذا أيضاً... فلننسى كل الماضي، أتريدين ذلك؟

وفجأة قبلت توني اليد التي كانت ممدودة لها. وقالت ضاحكة.

- ولننسى أيضا أنني لست بالسائقة الماهرة.

- أنت تحرجينني، فقد كنت شاهداً. وأنت تذكرين؟ وكان ينظر إليها بمكر.

- نعم لقد أظهرت طيشاً لا يغتفر.

توجها معاً نحو الشاليه. لم تشعر توني قبل الآن بمثل هذا الأرتباك مع أي رجل آخر. وسألته:

- هل تفكر في قضاء عدة أيام هنا؟

- نعم سأحل مكان سيان خلال عودته إلى البيت. فإن أمي ترغب في رؤيته.

شيء ما في نبرة صوته حيرت «توني».

- هل هي مريضة؟

- أنها مشلولة منذ حادث السيارة الذي أودى بحياة أبي - تابع شرحه بهدوء - ولهذا فهي بجد السفر متعباً.

فهمست «توني»:

ولكن «سيان» لم يخبرني بذلك.

- لم يجد الفرصة المناسبة بدون شك..

توقف «راف» أمام الباب حيث كان ضوء القمر يظهر جمال وجهه.

- في أيه ساعة تنهين عملك مع الخيول غداً؟ سألها «راف».

- هذا يتوقف على عدد الزبائن... أجابته مندهشة.

- أترغبين العشاء معي في أحد المطاعم التي أعرفها في الجبال؟

فكرت «توني».

- أتمنى أن لا تكرر خطأك، قالت له بهدوء. فإن انطباعاتك عني تهمني.

- اني أتطلع حقاً إلى أن أمضي معك بعض الوقت وليس فقط لأظهر ندمي.

- أوافق بسرور يا «راف».

- عظيم!. سأمر لإصطحابك في تمام السابعة.

- تصبحين على خير، «توني».

أغلقت «توني» الباب وأخذت تفكر. يا للغرابة! منذ

أسبوعين، أتهمها «راف» بأنها حاولت أن تغوي أحد أصدقائه، وعاملها بكره. وهذا المساء يدعوها إلى العشاء معه... ولم تستطع إلا أن تعجب بشجاعته بالأعتراف بخطئه.

ومع ذلك، عليها أن تعترف بأن راف أعجبها منذ اليوم الأول الذي رأته فيه، رغم موقفه العدواني تجاهها. وهذا المساء. أزدادت أعجاباً به.

- ٤ -

كان «سيان» يتهيأ للرحيل عندما كانت «توني» خارجة من الفندق بعد أن تناولت فطورها فقد قرر الذهاب إلى «كالغاري» وكان يبدو قليل الحماس.

- ستكونين هنا لدى عودتي، أليس كذلك؟ أستوضح بقلق. مع أن «راف» عاد قبل أوانه...

- طبعاً. فأنت لن تغيب أكثر من أيام معدودة!

فأبتسم الشاب.

- إلى اللقاء، «توني». كوني حذرة.... ولا تتركي أخي يضجرك.

نظرت «توني» إلى السيارة وهي تبتعد. «سيان» لا يشك أبداً بأنها لم تتوقف عن التفكير بـ «راف».

وأحست بوجود أحد خلفها فجأة. وعندما ألتفتت، رأت «راف» يراقبها من باب الفندق، فتلقت نظرته باحثة فيها عن تلك اللطافة التي وجدتها فيها مساء أمس. أبتسم لها راف وكأنه يقول:

«انتهت الحرب، سنكون أصدقاء». وسألها:

- هل تناولت فطورك؟

- نعم، وعلي أن أهتم بالجياد. فإن يومي هذا سيكون حافلاً.

ـ إذن، لن أعيقك. ولا تنسي موعدنا هذا المساء...

ـ نعم.

ولأول مرة في حياتها، أحست توني بالتجاوب مع رجل. أيكون ذلك بسبب ما جرى بينهما من قبل. والأصح أنه بسبب تساؤلها عمايخبئ لها المستقبل. للحقيقة لم يكن من الضروري وجود من يستلم مكان «سيان» وهل أختار «راف» البقاء بسببها هي؟ أرادت الفتاة أن تعرف السبب.

لم تلتقي «توني» به طيلة النهار. ولقد فكرت به عدة مرات.

وانتظرت السهرة بفارغ الصبر. وأخيراً حان موعد العشاء.

دخلت «توني» غرفتها واستبدلت ملابس العمل، وارتدت فستاناً أخضراً باهتاً وكان شعرها الأشقر ولون بشرتها يتناسبان مع لون ملابسها.

قرع «راف» الباب، وكان يضع على كتفيه جاكيت واسعة. فتفحص توني بإعجاب كبير.

ـ لا أستغرب الآن كيف أن «كريغ» فقد عقله. قالها وهو يدعوها لتأخذ مكانها في السيارة.

ولم يكن على وجهه هذه المرة علامات السخرية. ولكن الفتاة قالت له:

ـ أعتقدت بأننا سننسى!

ـ هذا صحيح ـ رد عليها بسرعة وهو يقود سيارته ـ لدينا اهتمامات أخرى. وأعترف لك بأني مسرور جداً من العرض الذي قدمتيه لي!

ـ حقاً؟ سألته «توني» وعيونها مشرقة مبتهجة.

أظهر «راف» دهشته ثم ما لبث أن ضحك.

ـ أنت تعرفين ذلك أكثر مني، لقد فتنتني من أول يوم التقيتك فيه على الطريق.

ـ لقد أخفيت لعبتك جيداً!

ـ لا أكذب عليك ـ أجابها بسرعة مداعباً ـ كنت أبالغ قليلاً بدون شك.

ولكن هل تعلمين بأني أحتفظت برقم سيارتك على أمل أن أجدك فيما بعد؟

وبعد أن أخبرتني «دايان»، وعندما رأيتك هنا مع «سيان» الذي يظهر عليه بوضوح محبته الكبيرة لك. فأصبحت مجنوناً. كنت أعرف أيضاً أخطاء «كريغ» ولكني رفضت تصديقك.

ـ ما الذي جعلك تبدل رأيك؟ همست «توني».

ـ لقد سبق أن قلت لك أني منحت نفسي بعض الوقت للتفكير. وفهمت خطئي فاغتنمت فرصة غياب أخي لأعرض عليك المصالحة. هلاّ سامحتني؟

أضاف وهو يضغط على الفرامل من شدة قلقه.

ـ تقريباً، قالت ضاحكة. يبدو أن «سيان» سيجد أن من ينوب مكانه لا فائدة منه. أنتقدته بجدية.

ـ أنه يخطىء ـ أجاب «راف» بهدوء ـ «كارين» تريد رؤيه أبنها وهذا سبب كاف.

وأمام دهشة الفتاة شرح لها.

ـ توفيت أمي وأنا في الثامنة من عمري، وبعد عام تزوج أبي. وولد «سيان» في العام التالي.

ـ أنت لا تعتبرها كأمك؟

فهز كتفيه.

ـ إنها أكبر مني بعشرة أعوام فقط. ولم تكن بنظري أكثر

من أخت كبرى.

- هل تقبلتها بسهولة؟.

فقال لها مداعباً.

- جدا، فلقد تخلصت من والدي لأنه كان يحول بيني وبينها. وكانت «كارين» الأمرأة المناسبة لولد في التاسعة من عمره، وكنت سأفعل كل ما يمكن من أجلها.

وصمت قليلاً قبل أن يتابع...

- إني أراها منذ خمسة عشرة سنة على الكرسي المتحرك. فاتني أحترمها أكثر من أي شخص آخر.

أبعدت «توني» فكرة سيئة كانت تمر بخيالها. طبعاً، كانت تتمنى أن تكون هي فقط موضع إعجاب وأحترام «راف». ولكن كيف استطاعت «كارين» أن تكسب عطف «راف»؟ لقد كانت شابة عندما وقع الحادث الذي أودى بزوجها وجعلها مقعدة...

- نعم، إن زوجة أبيك امرأة مميزة: قالت «توني» بصوت منخفض.

هزّ راف رأسه. وابتسم.

- كلميني عنك. كيف قررت المجيء الى كندا؟

لم تكن «توني» مستعدة لرواية قضتها الحزينة مع راندي.

- عرض علي عمل جيد. لكني لم أره يتناسب مع تصوراتي. فقبلت العرض الذي قدمه لي «الشانون» بانتظار أن أجد عملاً آخر.

- ولكن ما هي مشاريع المستقبل؟ سألها راف.

- لا أدري، أجابته بأسى. هذا يتوقف على...

- نعم، سنتحدث بهذا فيما بعد، قاطعها منادياً النادلة كي نعطيه الحساب.

أحست «توني» بقلبها يخفق بشدة بين ضلوعها. واحتفظت بالسكون وهم في طريق العودة إلى البحيرة في السيارة. ماذا جري لها؟ فلم يكد يمر شهران حتى وجدت نفسها تحب «راندي». الآن، تحس تشعر بانجذاب قوي نحو رجل لم تعرفه إلا من مدة قصيرة... وكيف تعلل كلام «راف» هل يحاول فقط أن يغريها؟ على كل لا يبدو أنه رجل يتسلى مع النساء.

وعندما وصلا إلى المنتجع، كان هادئاً وكل الأنوار مطفأة.

- لا أحد يستطيع رفض فكرة «سيان» فإن صالة الرقص في الخارج تكون جيدة.

أشارت «توني»!

تفاجأ راف، فهو لم يكن يعتقد أن لأخيه مثل هذه الأفكار.

- الناس لا يملكون الخيال. أعلن راف والتفت إلى الفتاة وأمعن النظر إليها.

- هل تشربين معي كأساً أخيراً، سألها بهدوء.

- يجب أن أدخل، قالت بتردد. فإني مرتبطة بنزهة صباحية غداً...

- الوقت ليس متأخراً لهذا "لدرجة. وصحتك تسعدني. أبقي معي قليلاً. ومن ناحية أخرى أنا رئيسك وهذا أمر، أضاف قائلاً.

أستسلمت «توني».

- حسناً وفي هذه الحالة...

وفي الغرفة الخاصة «بسيان» جلست توني على أحد المقاعد. وأحضر «راف» كأسين يحتويان سائلاً ذهبياً.

- ما هو أنطباعك حول بحيرة الذهب؟ سألته الفتاة. يبدو لي أن مكاناً كهذا لقضاء العطل يدر فائدة قليلة على شركة مهمة

كشركتك. . .

- في الحقيقة. هذا المنتجع تحت التجربة. وإذا جاءت الميزانية جيدة بنهاية الصيف، فإننا سننشيء مراكز مشابهة له في كل البلد.

- ويكون سيان على رأسه؟

- إذا أظهر جدارة.

- لقد نجح هنا.

- هناك فرق واضح بين إدارة مكان كهذا، وبين تنظيم مشروع على مستوى عال. حتى الآن أخي لم يظهر براهينه.

- عمره ثلاثة وعشرون سنة فقط - أعترضت «توني». وبهذا السن كل الناس على عكسك أنت، لا يعرفون بالتحديد أي هدف يتبعون!

وتوقفت وتساءلت لماذا تحتد هي بهذا الشكل، لا شيء يعنيها. . .

- آسفة، أنا. . .

- ما الذي دعاك للإعتقاد بأني كنت واثقاً في شبابي؟ سألها «راف».

- أنه حدسي. . . أعتقد أنك تختار دائماً ما تريد، «راف».

- قد تكونين محقة.

وضع راف كأسه على الطاولة.

- والآن كيف أبدو لك على سبيل المثال. . .

وانحنت شفتاه على شفتيها برقة بالغة. وبدون تفكير استجابت «توني» لقبلاته، واستسلمت لعناقه القوي. إنه ألذ من أن يقاوم. . .

رفع راف رأسه ببطء، ونظر في عيون الفتاة الخضراء.

- هل نقاشنا هو الذي فتنك أم أنني السبب؟ همس لها.

تنهدت وقالت:

- لم أشعر بهكذا انفعال من قبل يا «راف».

- أشرحي لي لماذا. . . بماذا أختلف أنا عن الآخرين؟

- لم يكن هناك من آخرين، ليس بالمعنى الذي أنت قصدته. . .

- أهذا يعني أنك ما زلت تنتظرين رجلاً مثالي؟

شعرت توني بالإهانة من خلال كلماته. فتراجعت وقالت:

- إذ كنت تهزأ، فأنا لم أعد راغبة في الكلام!

أمسكها «راف» عندما نهضت.

- لا تهربي. . إني أمزح. وأنا آسف.

فجلست توني مجدداً. وحدقت بوجه راف.

- ما زلت تعتقد أنني أغريت «كريغ شانون» أليس كذلك.

تأففت «توني».

- نعم، فإن جمالك لا يقاوم.

- إذا كنت دائماً متهمة بالإغراء. فإني غير مهتمة، ردت عليه بسرعة وبجفاف.

فوضع «راف» يده على رقبة الفتاة.

- وهل أكون مخطئاً إذا أكدت لك بأنك ترغبين بنفس ما أرغب أنا.

همس لها «راف».

لم تحاول توني الإنكار.

- إن ما أشعر به لا يهم، لأنه لن يحصل شيء بيننا، صرحت له بقسوة.

- لماذا؟ أعدك بأنك ستحبين ذلك. . .

أغمضت توني عينيها. لحظات أخرى وتستسلم لهذا الرجل. ولكنها تنبهت، ودفعته عنها.

- بالنسبة لك، تستطيع أن تأخذ ما تريده بسهولة قالت له بنفور، دون أن تهتم بالباقي! ولكني لست ساذجة بالقدر الذي تتخيله!

- كما تشائين! وكان «راف» غاضباً هو ايضاً.

- ستطردني، فليكن، أنا أقبل!

وأحست «توني» بالندم وحاولت أن تصحح ما بدر منها.

- أعرف بأن أحداً لم يطلب رأي...

- تصرفك يدل على موافقتك!

- ولكننا بالكاد نعرف بعضنا - أعترضت «توني».

- عليك أن تتوسلي على ركبتيك.

توني أحست بالإهانة من هذه القساوة.

- تصبح على خير «سيد ستوارت». واتجهت نحو الباب.

- توني أنتظري أرجوك.

عادت «توني»، وكان «راف» ينظر إليها نظرات غريبة.

- أرجعي، لن المسك، أحب فقط ان أحادثك...

لم تتحرك «توني».

- أني اسمعك.

- أعذريني - لقد أخطأت بحقك مرة أخرى. امنحيني فرصة أخرى.

ترددت «توني».

- لماذا؟

- لست أدري، ولكنك سحرتني، واتمنى أن تزداد معرفتي بك.

مدّ يده نحوها وقال:

- أعدك بأن لا أحاول إزعاجك مرة أخرى.

إجتارت الفتاة. منذ خمسة دقائق لم يخفي ما يضمره لها. والآن يرغب في بقائها... أتثق به توني؟

- حسناً، لقد صدقتك.

- شكراً. ونهض «راف». سأصحبك إلى غرفتك.

سارا صامتين جنباً إلى جنب في الظلام. ولأول مرة منذ أن جاءت إلى البحيرة الذهبية، لاحظت توني غيوماً متجمعة في السماء.

- الجو ينذر بالعاصفة. أشار «راف». لا تقلقي، صوت الرعد مثير جداً في الجبال. ولكنك هنا بأمان.

- لست خائفة - ردت «توني».

نظرت إليه بقلق. كم تتمناها ليلة سعيدة. ولاحظ «راف» تخوفها.

- ستطمئنين أكثر لو أننا شبكنا الأيدي.

- «راف» لا تسخر مني.

- لا أبداً، لنحاول...

قبلها بلطف، وذهب. وظلت «توني» تنظر إليه الى ان أبتعد في الظلام.

لم يكن بالنسبة إليها سوى غريب. أما الآن فقد سرت بمعرفته.

عودة «بيل» الثلاثاء التالي كان مفاجأة تامة وبعد اتفاقها مع «راف» خاصةً.

دخل «بيل» إلى الاسطبل فوجد توني تسرج سيلفر فقال لها باسماً:

- سمعت الكثير عنك. أشكرك لإنك حللت مكاني. يريد المدير مكالمتك.

وعندما دخلت «توني» إلى المكتب. كان «راف» مشغولاً

في مراجعة بعض الحسابات.

ـ لقد وعدت سيان أن أبقى حتى عودة «بيل» أعلنت توني. وإن لم تجد لي عملاً آخر فإني سأدفع إيجار غرفتي...

فنظر «راف» إليها بعينيه الزرقاوتان الجميلاتان.

ـ تستحقين بعض الراحة... ما رأيك بأن نقوم بجولة في الطائرة غداً.

ـ موافقة! ابتسمت «توني»، وكل مرة يجتاحها شعور غريب كلما رأته.

ـ ولكن لديك الوقت؟ أضافت.

ـ لكِ، دائماً عندي وقت. أجابها بلطف. أقتربي...

أطاعته «توني». فقد مرت ثلاثة أيام قربتهما من بعض أكثر فأكثر. ولم يعد راف يحاول إزعاجها.

ـ أنك تقودينني وراءك. همس لها وهو يضمها بيديه. فلنستفيد من هذه الأوقات قبل عودة «سيان».

وكان يخفي في قلبه وعداً غير أكيد.

إنهما يمضيان معاً وقتاً رائعاً، حتى أن «توني» ظنت نفسها تحلم. لم تفهم ماذا أصابها. كل ما تعرفه، أنها ترغب في البقاء مع راف. تحدثه وتحس بلمسة يده وبدفء شفتيه...

في اليوم الثاني. وعندما كانا في نزهة في الطائرة. أدركت «توني» أنها أحبته أكثر من حبها «لراندي»... وتساءلت وهي تراه يمسك المقود بيديه هل سيتمسك بها «راف».

بنفس اللحظة نظر «راف» إليها وابتسم.

ـ هل أنت خائفة مستوضحاً.

ـ لا أتخيل بأني سأشعر بالأمان في طائرة كهذه. قالت ضاحكة. كيف تعلمت الطيران؟

ـ اتبعت دروساً وحزت على الموافقة في سن العشرين. أفضل هذا أكثر من قيادة السيارة. سنحط بعد قليل.

دهشت «توني» لتغير مزاجه المفاجيء وميله الجديد إلى المداعبة. حوادث هذه المرحلة تعيد إلى ذهنها ذكريات بشعة.

وعندما وطأت قدمها الأرض، عانقت توني «راف» وقبلته.

ـ هذا يكفي لليوم. قالت ضاحكة. هذا رائع!

ـ سنكرره، أجاب بلطف. إذا أردته...

وابتسم قبل أن يعرض عليها طلبه:

ـ أنتناول العشاء في مطعم الصنوبر؟ أم نتناوله هنا؟

ـ آه، فلنبقى هنا ـ هتفت ـ ولنذهب للسباحة بعد ذلك.

ـ فكرة ممتازة.

وعندما دخلا إلى الفندق. أشارت «مارغو» لراف وأخبرته:

ـ السيدة «ستوارت» تطلب منك أن تتصل بها لحالة طارئة

ـ حقاً؟ سأتركك الآن يا «توني» وسأراك لاحقاً في المساء.

حاولت الفتاة جاهدة إخفاء خيبة أملها.

ـ حسناً، قالت له توني.

عادت توني إلى الشاليه. ماذا لدى السيدة «ستوارت» على هذا القدر من الأهمية، قد يكون الأمر يتعلق بالعمل. لكن أحساسها يشير إلى أن هناك سبباً آخر. ما هي العلاقة بين «راف» وزوجة أبيه؟ تساءلت «توني» أنها علاقة الأخ بأخته. هذا ما قاله «راف» في سياق حديثه عن طفولته. أما الآن؟...

«راف» متأثر بمرض «كارين» ولكن هل يستوجب ذلك بعض الحنان؟ أنه لا يكشف بسهولة عن هكذا مشاعر... كل هذه الأسئلة ستتوضح إذا تعرفت إلى «كارين» يوماً ما. ولكنها لم تبتهج لهذه الفكرة.

- ٥ -

عندما جاءت «توني» إلى الفندق لتناول العشاء، كان «راف» ينتظرها بغرفة الطعام. لقد بدا مختلفاً، ولم تستطع الفتاة أن تكتشف بدقة ما الذي تغير فيه.

ولقد لاحظت عدة مرات خلال السهرة أنه كان سارحاً مشغول الذهن لكنها لم تجرؤ على سؤاله.

بعد قليل، وفي الغرفة الخاصة بـ «سيان» أصبحت لمسات راف عاطفية أكثر من قبل. فهمت «توني» أن عليها اتخاذ قرار. إذا كانت تحب هذا الرجل فعليها أن تقدم له كل ما يطلبه بدون شروط. ولكن كيف لها أن تتأكد بأنها غير مخدوعة؟ أن تجربتها مع «راندي» تدعوها للحذر.

وكأن «راف» لاحظ ما يجول بخاطرها. فضمها بحنان.

- أنها موسيقى وحشية! قال ضاحكاً.

فانتبهت «توني» إلى صوت الموسيقى المنبعث من الغرفة المجاورة.

وأحست بأن «راف» أختار هذه المقدمة ليضع حداً لرغبته الشخصية بتركها تتخذ القرار.

- هيا نسبح. أضاف بلطف. على الأقل نشعر أكثر بالهدوء. سألاقيك أمام الشاليه بعد قليل.

وافقت «توني» بصمت، وعلمت بأن الفرصة قد حانت... وإن لم تكن هذا المساء فإنها ستكون في لقاءهما القادم.

مساء الغد، سيأتي «سيان» ولم يعد لها أي مبرر لتبقى في بحيرة الذهب...

وبمجرد التفكير بأنها لن ترى «راف» تحس قلبها يخفق بشدة. لو أنها تستطيع فقط أن تعرف حقيقة شعوره تجاهها! هل يرى فيها مجرد نصراً ممكناً له؟ ولكن لا... لماذا قضى أسبوعاً معها؟ هل أراد بذلك إغرائها. وهذا ما كانت ستقع به أية امرأة أخرى...

لمحت «توني» في الظلام خيال «راف». كان واقاً أمام شجرة قريبة ويلبس ثوباً واسعاً فذهبت إليه. وكان ينظر إليها وهي بلباس البحر نظرات بليغة أحست بها «توني».

غطس راف أولاً. وعاد فظهر من بين الحشائش التي على حافة البحيرة.

- ألن تأتي؟ - ناداها - اتخافين السباحة ليلاً؟

- لا، ابداً، ونزلت «توني» إلى الماء على مهل. وأمام راف كل أرادتها تنهار وهذا ما كانت تخشاه.

سبحا معاً، ثم توقفت «توني» وعادت فسبحت على ظهرها. وكانت السماء فوقها تتلألأ بالنجوم.

- تابع بدوني فأنا لم أعد استطيع!

- ليس هذا سباقاً، وثبت نظره عليها. لو كنت أريد السباحة فقط لجئت لوحدي.

فانتبهت توني وهمست له.

- وماذا تريد، يا «راف».

اقترب «راف» منها. وقلبها في الماء ثم عاد فأمسكها بقوة

من وسطها بينما تمسكت هي بكتفيه.

- هيا بنا ننزل تحت الماء. طلبت منه بتوسل.

- أحتفظي بأنفاسك...

فأطاعته «توني» وكانت شفتاه على شفتيها ونزلا ببطء في الماء، وأحست بجسمه ملتصقاً بجسمها فارتبكت. وعزف قلبها لحن الإستسلام...

وصعدا مجدداً إلى السطح، وكانت «توني» متعلقة براف، فاقدة القدرة على التنفس، فحملها راف على ظهره وعاد بها إلى الشاطىء.

كانت الأشجار والأعشاب التى على حافة البحيرة رطبة وموحلة. وكان «راف» متمدداً بالقرب من «توني» على الأرض يقبلها بحرارة. وأحسا بأن كل ما يحيط بهما يترنح. ولم يبقى إلا رغبتهما الجامحة.

وشعرت الفتاة بالنسيم العليل ولمسات «راف» على جسدها. وكانت يديه المنزلقة عليها تهيم بها كالتيار.

رفع «راف» رأسه فجأة بنفس اللحظة التي سمعت فيها «توني» ضحكة قريبة منهما.

إنهم بعض المتنزهين بدون شك وقد يشاهدونهما!

- دعني هتفت «توني» وهي تبعد صدر راف عنها.

فتأفف راف وناولها ثوبه فارتدته، وبداها ترتجفان، وظهر لهما زوجان من المتنزهين بين الأشجار.

- مساء الخير! قالت أحدى السيدتين. أنها ليلة جميلة للسباحة، اليس كذلك؟

إنها تعرف راف بالطبع.

- آسفة لإزعاجكما، هل تعلم إلى أين يؤدي هذا الطريق؟

- أنه يمتد قرب البحيرة على طول كيلومتر واحد تقريبا. ثم يعلو نحو الجبل وعليك أن تعودي على أقدامك. أجابها راف بهدوء.

- شكراً، هيا بنا، قالت السيدة لجماعتها.

ابتعدت المجموعة. ولم تجرؤ «توني» على رفع عينيها. منعها الخجل من النظر في عيون «راف».

وكانت متأثرة لكونها عارية.

- إنها غلطتي، أكد لها «راف» لم أكن واعياً. وتنهد أمام صمت الفتاة.

فقاطعته توني قائلة:

- أحس بالبرد. وأريد العودة.

لم يحاول «راف» مناقشتها.

- إلى الغد، قال. سنتكلم لاحقاً... وأنا سأبقى هنا لبعض الوقت. دعي ثوبي معك وسآخذه فيما بعد.

وفي طريق عودتها إلى الشاليه، حاولت توني إعادة تنظيم أفكارها. ففي صوت «راف» لاحظت نبرة ندم قوية. لم يكن مذنباً، وهي كانت متأثرة جداً بلمساته. وسعترف له غداً بمقدار حبها له. فأن كانت تحبه فعليها أن تكون صادقة معه.

مضى وقت قبل أن تسمع وقع خطواته على الدرج فخفق قلبها وانتظرت دخوله... لكنه عاد فابتعد. لم تستطع «توني» أن تفهم حقيقة مشاعرها. أكانت مسرورة أم حزينة. ساعة من الوقت وبينما كانت تحاول النوم سمعت دقات عدة على الباب فادعت أنها نائمة، مهما كانت أسباب عودة «راف» فهي غير مستعدة لسماعه.

وعادت الطرقات مرة أخرى.

- توني! أنا «سيان». أريد أن أكلمك...

- فنهضت مندهشة وارتدت قميصاً وفتحت الباب.

- لكن كان من المتوقع أن تأتي غداً!

- صحيح، ولكني غادرت «كالغاري» هذا الصباح، بعد أن علمت... وتردد ثم قال:

- «توني» - هل استطيع أن أسألك بدون تحفظ؟

- في هذه الساعة؟ قالت له مازحة.

وتوقعت توني أن يكون السؤال غير محبباً.

- يجب أن أعلم. هذا مهم.

- مهم لك أم لي؟

- لنا نحن الأثنين... هل حاول «راف» أغرائك؟

توترت الفتاة.

- وماذا يهمك من ذلك؟

- أنت معلمين ذلك جيداً.

فشحب لون الشاب أمام تردد توني في الإجابة.

- نعم اليس كذلك؟

- كلا، أنت مخطىء - وكانت توني تكذب - «سيان»، ماذا حصل؟

فنظر إليها الشاب بصمت.

- هل استطيع الدخول؟. سألها أخيراً. ان ما سأقوله يدعو للحرج.

قبلت «توني»، والاضطراب بادياً عليها. وعندما أغلقت الباب أحس «سيان» بالأرتياك، ورفض الجلوس على الكرسي الذي قدمته له توني. ثم سألها.

- ما هي مشاعرك تجاهه؟ وكيف يعاملك.

- لا أرى أية أهمية لذلك - ردت عليه بجفاف. ما الذي تريد الوصول إليه؟

تأوه «سيان».

- الذنب ذنبي، أنا من دفعهم إلى ذلك.

- هم؟ من هم؟

- أمي و«راف». أنهما يدبران مكيدة. ولقد نجح راف في اغوائك بعد أن حاول أن يقنعني بأنك حقيرة.

- لماذا؟

جف حلق توني لدرجة أصبح صوتها كالوشوشة. وأحمر لون «سيان» فقد كان الغضب بادياً عليه.

- أنا... أناأخبرت والدتي بأنني أحبك وبأني سأطلب الزواج منك. ولهذا السبب طلبتني أمي بينما «راف» جاء يكمل مهمته. فهما يرفضان فكرة أن انفرد بقرار يخصني!

- ولكن لماذا - كررت «توني» لماذا كذبت عليهما؟

- كيف عرفت بأنني أكذب؟ رد عليها بحدة. وهز كتفيه أمام دهشة الفتاة. ثم أضاف:

- حسناً... لقد بالغت، ولكن هذا ليس بعيداً عن الحقيقة!

- حقاً؟

حاولت توني أن تتذكر أية لحظة من علاقتهما تتوافق مع تصريحاته. ولكن عبثاً...

- «سيان» - لقد كنا دائماً أصدقاء. وليس أكثر كن صادقاً... لم تفكر أبدا في أن تتخذني زوجه لك. واشك بأنك فكرت للحظة واحدة بالزواج!.

- هذا صحيح. أعترف «سيان». على الأقل لو فكرت به،

لكنت أنت من أختار.

- شكراً. ولكن الآن عليك أن تخبر أخاك بكل شيء - قالت له تـوني بحزم - وأن تشرح له أنك لم تكن جاداً، وبأنه يستطيع العودة.

- هذا ليس سهلاً.. أنظري. لقد عدت بعد ان تكلمت أمي عن مخططها الذي دبرته مع «راف». وقد أعلنت لها بأن ما من قوة تمنعني من الزواج بك، وخاصة مكيدتها. وأنا أكيد بأنها أخبرت «راف» بذلك...

- نعم، لقد اتصلت به بعد ظهر اليوم... فلم يعد هناك سوى أحتمالين. إما أن تعترف لهما بالحقيقة، وإما تخبرهما بأني رفضت طلبك الزواج مني. ومهما كان أختيارك ستكون أنت الملوم...

بعد صمت قليل، خطر «لسيان» فكرة شيطانية، فقال:

- قد يكون هناك حل آخر.. فماذا سيفعل «راف» لو أنك أكدت له بأنك كنت تتلاعبين به بانتظار عودتي... طبعاً نحن فقط نعلم بأن هذا غير صحيح.

وبعد فترة نعلن لهما بأننا غيرنا رأينا. وبأننا لم نعد نرغب بالزواج.

- مستحيل! هذه إهانة. لن تستفيد شيئاً.

- بالنسبة لي. بلى. هكذا أستطيع أن أثبت لهما بأني قادر على اتخاذ قراراتي... وأنت؟ ألا ترغبين في الثأر من «راف»؟ فأنا أشك بأن أمرأة أخرى قد تكون أهانته بهذا الشكل!

بقيت تـوني صامتة. فإن عرض «سيان» أثر بها. لم يكن راف دقيقاً، ولكن لماذا يجب عليها إرباكه، وتذكرت لمساته وكرهته فجأة. لو لم يكونا منقطعين لكان قاسي القلب استخدمها

لينفذ خطته البائسة، ولكان بذلك أهانها واحتقرها.

نعم، ستبرهن له بأنه لا يمكن لأحدٍ أن يسخر منها دون أن يلقى جزاءه. وندمت على موقفها! وأخيراً قالت:

- حسناً، أنا أوافق.

- ممتاز! سنلقنه درساً جيداً! ومن منا سيعلمه بذلك؟

- الذي يراه أولاً، أتمنى أن يتلظى بغيظه...

- أنا أكيد من ذلك.

تردد الشاب وأخذ يبحث عن الكلامات.

- «تـوني»... أنا آسف. كله بسببي. لـو أني التـزمت الصمت لما كان حصل شيء من هذا...

- لا تقلق يا «سيان»، لم يحصل أي سوء. لقد جرح كبريائي ليس إلا.

- أني أتطلع بفارغ الصبر لأرى كيف سيكون رد فعله! لا أريده أن يكون انتقاماً عادياً، ولكن راف ذهب بعيداً في فعله. وأمي أيضاً...

- إن الوقت متأخر الآن. تنهدت تـوني بصوت خفيف، ونحن بحاجة لليلة من الراحة...

- ولكن ليس لدينا مخطط... إسمعي: سنقول «لراف» بأني جئت إلى هنا فور وصولي وبأنك قبلت الزواج مني...

بحث «سيان في جيبه.

- إذا لبست هذا - قال وهو يفتح علبة صغيرة، ستصبح القصة أكثر واقعية.

أمسكت «تـوني» أنفاسها. زمردة رائعة تزين خاتماً من الألماس تلمع في يد الشاب.

- إنه من ميراث جدتي أعطتني إياه لكي أقدمه لزوجة

المستقبل. وكنت أحتفظ به في خزنة في أحد بنوك «كالغاري».

ـ لقد كنت واثقاً من موافقتي أليس كذلك؟

ـ كلا... ولكني حسبت حساباً لكل الحالات... ولمعت عيون الشاب اللوزيتين.

ـ لن تغيري رأيك، قولي...؟

تذكرت توني الأيام التي مضت، فأكدت عزمها على هذا القرار.

ـ أبداً يا «سيان». ولكن لا داعي لهذا الخاتم، فقد يضيع مني...

ـ أنه مثبت جيداً، ولست مجبرة على وضعه كل الوقت. فالمهم أن يراه «راف» وهو يعرف معناه.

أخذت توني الخاتم وجربته وكان مناسباً جداً ليدها.

ـ دع لي العلبة أيضاً. فإني سأحتاج إليها.

ناولها «سيان» العلبة. فلامست يداه يدي الفتاة.

ـ لم أستطع الصبر إلى الغد، صرح «سيان». أنها المرة الأولى التي أتفوق بها على راف. تصبحين على خير.

وأخيراً أصبحت وحيدة. وحاولت أن لا يرق قلبها. لقد أقتربت كثيراً من وضع حدٍ لكل هذه السذاجة... كان عليك أن تشك بتغير موقف راف المفاجيء والمشبوه.

كذلك، إن هذا الإنتقام لا يعجبها ومع ذلك فهي مصممة على قرارها.

وستنفذ خطتها. نامت توني نوماً متقطعاً، واستيقظت باكراً في اليوم التالي وحاولت أن تنسى ذكرى الليلة الماضية المؤلمة. فسبحت بنشاط. وعندما عادت إلى الشاليه لمحت «راف» منتظراً أمام الباب. فعاودها الرعب من جديد.

ـ كنت اتكلم مع «سيان» ـ قال «راف» ـ والآن أريد أن أسمع تأكيدك.

وفاجته منحت «توني» القوة التي كانت تنقصها.

ـ لقد طلبني «سيان» للزواج وأنا موافقة. أكدت له «توني» وهي تنظر في عينيه.

أيعجبك هذا؟

ـ ولكن لماذا؟ أخي لن يفيدك بشيء قبل سنتين أو ثلاثة.

توني لا تعرف السبب.

ـ هذا رأيك الشخصي. أنا أعرف أن «سيان» يناسبني أكثر منك مثلاً!

ـ مساء أمس، جعلتيني أفهم العكس ـ أجابها بهدوء ـ

أمام هذه الصراحة لم تستطع توني إخفاء ضيقها. فهزت كتفيها.

ـ نعم، لقد ندمت على فراقنا. ونزهات هذا الأسبوع فشلت... إنها خسارة لم تؤثر على موقف «سيان» مني. ولقد أحسن بإخباره أمه، أليس كذلك؟

ذهل «راف». وبدا وكأنه غير قادر على الكلام.

ـ أتريدين إفهامي بأنك كنت تتلاعبين بي. تلفظ أخيراً.

ـ ليس من قانون يمنع أن يلهو أثنان معاً؟ من ناحيتي أنا لهوت جيداً. لقد تعرضت بدون شك إلى عدد كبير من النساء في حياتك حتى أصبحت لك هذه التجربة العظيمة!

لم تظهر على «راف» أية تعابير. ولكنه أمسك توني من يدها وجذبها إلى الداخل. التفت إليه الفتاة وحاولت التخلص منه.

ـ إذا لم تتركني فوراً فإنك ستضطر إلى تبرير تصرفك أمام سيان! قالت «توني». ولكنك قد تسخر منه؟

- «سيان»؟ آه، لا. أني أفكر به عكس ذلك تماماً! ولن أدعك ترتبطين بالزواج به دون أن أحاول منعكما... لقد ربحتما. ولكن ما هو ثمنك؟

ابتسمت «توني» ساخرة.

- أنت لا تفكر إلا بالمال! أعلم أن هذا ليس اسلوبي.

- لا تتوقعي أبداً أن تحبي «سيان»؟

- أنا لست أمام أتهام! يبدو أنك لا تسمع... أخرج فوراً!

فأمسكها راف من كتفيها بقوة.

- أجيبي: هل تحبين أخي؟

- لا. أعترفت توني التي لم تستطع الأستمرار بالكذب. ولكن هذا ممكن في المستقبل. من بينكما هو الأجدر بالحب!

وكان راف لا يزال يمسك بها. فقلب شفتيه وقال:

- لقد جعلتيه يقع كلياً تحت نفوذك. أليس كذلك؟ ولكن لا تتخيلي بأني ساتركك تستمرين بذلك!

- حظاً موفقاً! ردت الفتاة بصوت يمتلىء غيظاً. ستكون بحاجة للحظ، لأن سيان قرر بحزم الا يطيع أمه وأخاه بعد اليوم!

همَّ راف أن يقبلها لكنه عاد فرفع رأسه ونظر إليها بإحتقار.

- لم أكن مخطئاً في تصورك. لست سوى دساسة. ولكن انتظري ستواجهي صعوبات حقيقية على طريقك. وساريك إياها!

خرج واغلق الباب وراءه، حاولت توني أن تهدأ. فسيصل «سيان» بين دقيقة وأخرى... وستقول له بأنها لن تستمر بعد الآن بهذه الخدعة. فإن للإنتقام طعماً مراً لا تريد أن تتذوقه. وبأنها ستترك هذا المكان. ومن «كالغاري» ستستقل طائرة إلى إنكلترا. ولم تحاول توني التفكير بما سيكون عليه الحال في

بلدها الأم. دون عمل ودون بيت، لا تملك إلا تجربتها الحزينة...

كانت قد انهت توضيب حقيبتها عندما ظهر «سيان» على الباب. ونظر إليها حائراً.

- توني، لا تستطيعين العدول الآن عن قرارك - راجياً - أعتقدت أنك تريدين الإنتقام من راف أكثر مني...

- نعم هذا راي أيضاً - أجابت الفتاة دون أن ترفع عينيها عن قطعة ملابس كانت تثنيها - أنا آسفة، سيان، ولكن في الوقت الحاضر. كل هذا لم يعديهمني. أني راحلة خاتمك موجود في علبته على الطاولة...

- لقد وعدتني... إذا عدلت عن رايك فهذا يعني أني كنت أخطأت باتكالي عليك!

- أنا أيضاً خدعت نفسي! ردت ملتفتة نحوه وعيناها مغرورقتان بالدمع. سيان، عليك أن تحل مشاكلك بنفسك. ولست قادرة على مساعدتك!

- توني...

اقترب منها وأخذ يدها.

- أرجوك لا تتركيني! أنها أول خطوة لي. تحمليني قليلاً!

- مستحيل، تابع بدوني، قالت بصوت يائس. «سيان»، لست بحاجة لأحد كي تثبت بأنك كائن، ولست مثلاً لعائلة ستيوارت!

- أنت مهمة بالنسبة لي - الح «سيان» - أنت الوحيدة التي منحتني ثقتي بنفسي...

ومضت لحظات قبل أن يقول بصوت ناحب:

- توني، أنا لا أطلب منك إلا القليل من الوقت... ماذا يهمك من «راف» لم تحصلي منه إلا على جرح مشاعرك، أليس كذلك؟

- نعم، قالت متألمة لكبريائها.

- في هذه الحالة، أي سوء سيحصل بعد الإنتقام منه؟ إذا تراجعت الآن فإن «راف» سينتصر. وسيفكر بأنك تخشينه.

- أحست توني الخوف، ولكنها لم تستطع أن تبوح به أمام «سيان»، وحاولت أن تواجهه بحجة أخرى.

- ليس لدي عمل، وعلي أن أعيد السيارة...

- فلنذهب معاً إلى كالغاري! وسيجد «راف» مديراً آخر، وستسكنين عندي، طبعاً.....

- لا - صرخت توني - مستحيل!

- نحن مخطوبان. هذا طبيعي - رد بسرعة - «توني»، أنت ساعدتني في التخلص من سيطرة العائلة. وهل تريدين الآن أن تكوني مسؤولة عن فشلي؟

أحنت توني رأسها.

- سيان، أنت قاسي القلب كأخيك تماماً...

- أني أتعلم الدفاع عن نفسي.

- إذن فلنتابع.

- حسناً. ولكن ليس لمدة طويلة...

فأضاء وجه الشاب.

- شكراً. هذا مهم جداً بالنسبة لي!

إبتسمت توني. كيف قبلت أن تتركه في هذه الورطة؟

- تعالي لنتناول الفطور معاً.

أطرقت توني ساهمة. ولكن لاحقاً أن آجلاً ستلتقي بـ «راف»...

جلسا حول طاولة في غرفة الطعام. وعندما شاهداه لم يظهر لهما أي انفعال.

- أنستطيع أن ننضم إليك؟ سأله «سيان».

- لقد انتهيت. عفواً.

جلسا قبالته. وكانت توني تنظر إليه بثبات. ولكنها مرتعدة.

لقد كان هذا الرجل يحتضنها منذ ساعات خلت. قبلاته ولمساته لم تكن إلا تصنع! فانقبض قلبها.

- ما هي مشاريعكما الآن؟ سألهما «راف» وابتسم هازءاً.

- سأصطحب «توني» إلى المنزل - رد «سيان» بزهو - لم أعد أتحمل هذا المكان.

حاول «راف» أن يبدو غير متأثر.

- ومتى سترحلان؟

تردد «سيان». فهو لم يدرس كل التفاصيل بعد.

- آه... قد نرحل غداً. لسنا على عجلة من أمرنا.

- ولماذا لا نرحل اليوم؟ تدخلت توني فجأة.

- أنها فكرة ممتازة! قال الشاب. عندما فكرت بأن «راف» قد يكون سرحك بعد عودة «بيل» وبأنك قد تكونين في انكلترا بهذا الوقت!...

- التفت إلى أخيه بلؤم ثم تابع - ألم تتهمني يا راف يوماً بعدم المثابرة؟ هذه المرة لا شيء سيجعلني أغير رأي!

فكرت توني، أمام وجه راف الثابت الملامح. بأنه سيتذكر هذا الكلام في وقت آخر. فعلى سيان أن يراقب كلامه..

- سأتصل «بكارين» وأعلمها بقدومكما - قال راف وهو ينهض - كي يجهزوا لكما غرفة.

- ومن تسيحل مكاني هنا. سأله «سيان».

- لا تهتم أنت بهذا الأمر - أجابه راف ببرودة - إلى اللقاء يا توني.

كانت نبرته تتضمن التهديد. راف لم يتخلى قط عن خصم له.

ولكن ما هو سبيله لذلك؟ لم يكن لكلامه تأثير على «سيان». فلم يكن أمامه سوى أن يقبل بهذا الوضع طالما أن سيان وتوني لم يقررا وضع حد لتسليتهما.

لم يظهر راف وهما يغادرا المنتجع، كل وراء مقود سيارته. كانت الفتاة حزينة، نادمة على ترك هذا المكان حيث كانت سعيدة جداً... طبعاً قبل عودة راف...

وفي الطريق اكتشفت منظراً رائعاً. من وقت لآخر بين جبيلين كان يظهر نهر مهيب. هذا البلد كان لا يزال وحشياً بعض الشيء - فكرت توني - لا يزال يحتفظ بجماله الذي لم يمس منذ ملايين السنين. وقد تعود يوماً...

المستقبل القريب لا يخبىء لها ما يفرح، بل على عكس ذلك تماماً. ولقاؤها مع «كارين ستيوارت» يبدو طويلاً. توني لا تجهل بأن وجودها لن يكون مرغوباً. بالإضافة إلى أن الدور الذي تلعبه لمساعدة سيان يجعلها دائماً قلقة. وما هي الفائدة التي سيجنيها هذا الشاب؟ لاحقاً سيعترف بالحقيقة، ويقدم بذلك دليلاً جديداً على عدم كفاءته..

مرت السيارتان بتلةٍ محاطة بالقمم المكللة بالثلوج. كان المنظر يبدو رائعاً من الأرتفاع الذي كانت فيه «توني». فاوقفت السيارة على جانب الطريق. المنظر الطبيعي الجميل ضاعف أحساسات الفتاة وجعل شكوكها غير محتملة.

- أأنت متعبة؟ سألها سيان بعد أن أنضم إليها.

- سيان، يجب أن نتكلم!

وجفت حنجرتها عندما نظرت إلى وجه الشاب، يا إلهي كم يشبه أخاه.

- وإذا قلنا الحقيقة للسيدة ستوارت - عرضت عليه توني - هل ستفهم كم أثر بك موقفها وموقف راف؟

فأحنى الشاب رأسه.

- هذا لن يفيد. وستلاحظين ذلك عندما ترين أمي.

- لست أكيدة من رغبتي في لقائها الآن. ليس في هذه الظروف لا أحتمل هذه الخدعة.

فكر سيان لحظة. وتجهم وجهه عندما عاد للحديث.

- توني، أن ما سأفعله لا يعجبني البتة، ولكن... هل تستطيعين دفع ثمن تذكرة الطائرة للذهاب إلى انكلترا إذا رفضت أنا دفع إيجار سيارتك؟

نظرت إليه توني محاولة عدم تصديقه.

- كنت أعتقد أن مثل هذه السفالة محصورة بأخيك، صرحت له بمرارة.

- أنا آسف... أكد لها سيان بجدية. ولكني لا أستطيع أن اتخلى عنك الآن.

- من أجلك! فكر بي من وقت لآخر.

تبسم الشاب وقال:

- تعتبرينني أنانياً. أعرف ذلك. ولكني سأثبت لك العكس، توني. فامنحيني الفرصة.

- بكل الأحوال، ليس لدي خيار - تنهدت - حسناً سأترك نفسي انجرف في هذه القصة، فإني استحق ما يحصل لي. هل

ما زلنا بعيدين؟

- بقي أمامنا ساعتان أو ثلاثة على الأقل. إذا كنت ترغبين نتوقف لتناول الطعام. وأعدك بأننا ما أن نصل إلى كالغاري، سنعيد سيارتك فوراً.

- هذا لطف منك!

- عفواً، حاولي أن تفهمي . . . قال لها بأسى. أنا بحاجة لك.

- لا أستطيع منعك عن هذا الأعتقاد. سر أمامي إذا أردت وأنا سأتبعك. . .

- ٦ -

توقفا في مدينة جميلة على سفح الجبل. وكان عدد السواح كبير مما يضطرك للإنتظار أكثر من ساعة كي تجد طاولة في مطعم.

- عندما يأتون إلى هنا، أكثر الناس يتخيلون أنهم يعرفون المنطقة، شرح لها سيان ضاحكاً. كذلك، إذا عرفت كم أن هذه المنطقة غنية ومميزة!

- لا أجد صعوبة في تصديقك، قالت توني وهي فرحة بحماس الشاب.

حتى الآن كل ما أراه يسحرني.

- أتظنين بأنك باستطاعتك العيش في هذا البلد؟ سألها بحرارة.

ترددت توني قبل ان تجيبه. لو كانت الظروف مختلفة. . .

- نعم قد استطيع أن أتأقلم. . . ردت توني.

أنهيا طعامهما.

- هل أنت مستعد سألته الفتاة.

- كما تشائين - وضحك لها مداعباً.

تركا الجبال، وأصبح المنظر ممتداً أمامهما. أخيراً ظهرت المدينة من بعيد. وكلما اقتربا، تلاحظ توني ناطحات السحاب.

وحولها على بعد عشرات الكيلومترات تمتد الأحياء والضواحي.

وكما وعدها، سيان، توجه أولاً إلى وكالة السيارات التي استأجرت توني منها السيارة، ودفع المبلغ المتوجب عليها.

فكرت الفتاة بشهامة الشاب وتأكدت من أخلاصه. وعادا معاً في سيارة «سيان»، كانت توني ساهمه تتأمل في الشوارع المليئة بالحركة. ولكنها كانت بفكر وتتخوف من مواجهة السيدة ستوارت. وكان عزاؤها الوحيد أن راف لم يكن موجوداً ولكنه طبعاً سيعود...

- نحن نسكن خارج المدينة - قال سيان عندما لاحظ اضطراب الفتاة، فحاول أن يسليها - شيد والدي فيلا جميلة بعد زواجه الثاني. لدينا خيول، يملكها «راف»، وبأمكانك أن تمتطيها إذا أردت.

- أشك بأن كرم أخيك يدفعه لأن يقترح مثل هذه الفكرة. يبدو لي أنك نسيت بسرعة...

سعل «سيان».

- لم أعرف ماذا حصل بينكما بالضبط... أظنه حاول اغرائك، ولكن...

- أنت تجهل الأسلوب الذي أتبعه معي، قاطعته ببرودة. لماذا لم تسأله هو؟

- لن أمنحه هذا الرضى. من جهة أخرى لا يهم، لقد خسر.

هذا هو الظاهر فقط... فكرت توني بأسى.

كانت ممتلكات الستيوارت أوسع بكثير مما تخيلته توني. هناك ممر طويل يبلغ مئات الأمتار يقودك إلى البيت. يبدو ان الأرض السهلية لا تروق لتوني.

إنها مقر عائلة قوية. وارتاحت توني لأنها لن تمكث هنا مدة طويلة.

الداخل لم يكن أقل فخامة. في الممر الواسع يمتد درج فخم يقود إلى رواق الطابق العلوي. وبعد أن أمر «سيان» أحد الخدم بحمل الحقائب، اصطحب الفتاة نحو أحد الأبواب المصنوعة من الأكاجو والذي يطل على المدخل. وكان سيان يمسكها من ذراعها بلطف.

- نحن هنا على الحسنة والسيئة معاً - صرح لها سيان - لا تخذليني...

لم يكن أمام توني متسع من الوقت للإجابة. فتح سيان الباب وتراجع قليلاً ليدعها تمر قبله. دخلا غرفة واسعة مضاءة كان خشب الموبيليا يلمع، والستائر حريرية، والموكيت السميك يضفي على الديكور مزيداً من الأبهة. ومن زجاج النوافذ تُرى سفوح الجبال المشمسة.

لم تُدِرْ المرأة الجالسة أمام أحدى النوافذ على الفور كرسيها المتحرك كي تستقبل زائريها. وكان شعرها الأسود القصير يدل على وقارها.

- كنت انتظر وصولكما أبكر - أبدت ملاحظتها بصوت جاف. أخبرني «راف» بأنكما غادرتما البحيرة في العاشرة من هذا الصباح.

ثم نظرت إليهما. إنها في الرابعة والأربعين من العمر، ومع ذلك ما زالت تحتفظ بجمال مميز. لها ملامح ناعمة ومتناسقة. عيناها سوداوتان تضيفان لمسة جمال على وجهها كانت تلبس تنورة طويلة حمراء تغطي رجليها المشلولتين.

- إذن هذه التي أختارها ولدي. قالت السيدة «ستوارت»

ورمقت توني بنظرة فاجأتها بها. وأخيراً سأحظى برفقة أنثى...
هل تتناولين الشاي؟ سألتها وهي تمد يدها إلى جرس بجانبها.
- بكل سرور.
أحست توني بحيرة تامة. كانت تتخيل استقبالاً آخر. ونظرت خفية إلى سيان. وكان الشاب أيضاً محتاراً.
- كنت تنتظرين عراكاً، أليس كذلك؟ سألتها كارين محاولة المزاح.
- لقد أكدت لي أمس بأنك لن تسمحي لي أبداً بالزواج من توني، ذكرها «سيان».
كارين مبتسمة دائماً.
- لقد قلنا نحن الأثنين الكثير من الحمقات. وفكرت كثيراً بهذه اللحظة. لقد حان الوقت كي تتحمل بعض المسؤليات كي لا ترتكب أخطاء!
- هذا ليس خطأ! قال سيان ثائراً.
- أنا لا أدعي هذا، طمأنته كارين بهدوء. انتما الأثنان فقط القادران على التلفظ بهذا.
أشارت إلى أريكة بجانبها.
- تعالي أجلسي يا توني وحدثيني عنك قليلاً...
- ألم يسبق لراف أن فعل؟. سألتها الفتاة كي تضع محدثتها أمام الواقع.
- يمكن لكل الناس أن تخطىء.... نحن نعرف «كريغ شانون»، وأعتمد عليك كي تتوضح شكوكي - أجابت كارين بمحبة - هيا أقتربي يا توني.
أطاعتها الفتاة وجلست على الأريكة. ونظرت إلى سيان وكانت نظراته تتوسل «لا تخذليني».

ومن خلال الحديث مع كارين بدأ قلق توني يزول. يبدو أن سيان قد بالغ في الحكم على أمه. أنها تبدو مثالاً جيداً لعزم الأمرأة. وعلى كل، كانت تحاول فقط حماية مصالح «سيان»... وكانت تخشى أن تفقد ابنها الوحيد؟ بينما «سيان» لا يعرف كم أن حيلته قذرة؟
وعندما فتح باب الغرفة. أعتقدت توني أن خادماً يحمل الشاي. لكن دهشتها كانت كبيرة، دخل «راف» حاملاً صينية.
لم يحاول «سيان» أن يخفي دهشته.
- متى قررت العودة؟ سأله ساخطاً.
- تقريباً بعد ساعة من رحيلكما، أجابه «راف» بهدوء. لقد رتبت كل شيء بخصوص من سيحل مكانك. والمدير الجديد قد يكون وصل الآن سافر بالطائرة إلى «فانكوفار» رأيت أنه من غير الضروري الأنتظار.
التفت إلى توني.
- هل كان سفرك جيداً.
- نعم، شكراً. وكانت الفتاة لا تزال تحت تأثير المفاجأة.
توجه راف إلى أحدى زوايا الغرفة. وفتح خزانة لها شكل البار، وسكب لنفسه كأساً قبل أن ينضم إلى المجموعة. وبدت عليه ابتسامة سخرية.
- أقترح أن نشرب نخباً...
- أنت الوحيد الذي سيشرب، تذمر سيان.
- معك حق...
ثم عادت نظراته إلى توني.
- سأشرب نخب مستقبل عضو جديد في العائلة!
- أنا تعبة، قالت كارين فجأة - سأتمدد قليلاً قبل العشاء.

اقترح راف أن يرافقها. فقبلت كارين. يظهر أنه كان يهتم بها كثيراً.

ـ أعذريني يا توني. سنعود ونلتقي فيما بعد.

ـ هل هي دائماً متألمة.

ـ كلما رغبت بذلك. أجاب سيان دون أن يبدو عليه التأثر. ستلاحظين ذلك بسرعة.

ـ ولكنها شاحبة جداً. اعترضت توني ساخطة على انتقادات الشاب، لا يمكنك أن تتهمها بالتصنع!

. ليس هذا ما أعنيه. ولكني الاحظ بأن الآمها تأتي دائماً بالوقت الملائم.

ـ ماذا تعني بالتحديد؟ لماذا لا تظهر قوتها؟

ـ بسبب راف. تريد أن تتأكد من سيطرتها عليه بعد أن فقدتها معي الآن.

ـ ولكن، هل كان راف غير واعٍ لهذا الضغط الذي تمارسه عليه.

ـ بلى، ممكن، لا أعرف. على كلٍ هذا لن يبدل شيئاً.

ـ أنا لا أفهم.

ـ هذا بسيط ـ وأصبح صوته قاسياً ـ راف هو المسؤول عن عاهة أمي.

ـ كيف ذلك؟

ـ كان هو وراء المقود عندما حصل الحادث. حادث قتل فيه والده، وجعل من زوجة أبيه مشلولة... فكرت توني برعب. أغمضت عينيها. لم يكن قد بلغ العشرين من العمر. يا لهذا الكابوس الذي يرهق حياته...

ثم تابع سيان. لم تكن غلطته. فالسيارة التي صدمتهم كانت

تخطت الشارة الحمراء. لكن لو لم يكن مسرعاً لكان استطاع أن يتجنب الحادث. لقد كان مهووساً بالسرعة. وهي كانت تشجعه.

ـ والدتك؟

ـ نعم، كانت تهتم به كثيراً بينما كانت تجدني مملاً، أما معه كانت تمرح.

ـ ووالدك؟

ـ كان رجلاً محافظاً وهادىء، وكان ذلك يعجبه.

فهمت توني لماذا كانت تنمو عند الشاب البغضاء تجاه أمه كان يشعر بأنه مهملاً. وهكذا تركت توني نفسها تنجرف مع تيار أهوائه. وهي ليست موجودة هنا إلا لتلعب دوراً ليس أكثر.

ـ أتمنى أن أستحم وأغير ملابسي. قالت توني. أتستطيع أن تدلني على غرفتي؟

فاصطحبها سيان إلى الطابق العلوي. فكرت توني براف. هل ما يزال بصحبة كارين؟ فقاومت تيار الغيرة الذي يجتاحها. كيف لم يتأثر راف بهكذا مأساة؟ والعلاقة التي كانت بينه وبين كارين كانت معقدة...

الغرفة حيث تقيم، تطل على الحديقة والمسبح. وعن بعد تمتد الجبال من على شرفتها، لاحظت توني ممراً بين الأشجار. بدون شك لن يلاحظها راف إلا أذا ذهبت فيما بعد لرؤيته...

ـ لم يكن علي أن أدعك تاتين إلى هنا؟ أليس كذلك. صرح لها سيان وهو لا يزال واقفاً أمام الباب. كنت محقة عندما نعتني بالأنانية.

تنهدت توني.

- والآن فات أوان الندم. علينا أن ننهي ما بدأناه. والدتك تبدو لي بأنها ستخفف من نفوذها عليك. تحت وطأة هذه الظروف يصعب علي بعد الآن أن أكذب عليها.

- وإذا توقفنا عن خداعها يا توني. قال سيان وعيناه يبرقان. وإذا قررنا حقاً أن نتزوج....

فهمت توني أن الشاب لم يكن يمزح. وقالت له:

- سيان، أنا لا....

- أعرف أنك لا تحبينني - قاطعها قائلاً - لكن لم نتعرف على بعضنا بالقدر الكاف. ولماذا لا تحاولين مع الوقت؟

يا الهي، كم كان صغيراً فكرت توني. كيف كانت ستشرح له ذلك؟ وقالت له بلطف، أفهمني يا سيان، لا سبيل إلى التفاهم بيننا. أني أحتاج شخصاً أكثر نضجاً منك، وأنت....

- كراف مثلاً؟ رد عليها واثقاً، كان كل شيء يسير على ما يرام قبل وصوله.

- كلا، أجابته بشدة، لن أتزوج أبداً رجلاً مثله!

- على كل، أمي كانت ستمنعك من ذلك، وأنت لن تخالفي نظامها.

- ماذا تريد أن تقول؟

- عن محاولتين. لقد حاول أخي مرتين أن يقدم لها فتاتين كان قد تعرف عليهما. وحينها سقطت كارين طريحة الفراش. ومن حينها لكلما تعرف راف على فتاة لا يجرؤ على اصطحابها إلى البيت. لن تسمح له كارين بالأنفصال عنها. أنا ممكن، أما راف فلا. فهو مسؤول عن حالتها ويجب عليه أن يدفع الثمن.

- هذا تمرد.

- ولكن هذا هو الواقع.

- ألا ترى أن راف لم يقدم لها منفعة بالتصرف على هذا النحو يجب أن يكون المرء مؤمناً بحبه...

- هذا يخصه هو. يا توني. أجابها بلطف.

- لا تلح على هذه النقطة يا سيان. اعتقد أنه من الأفضل لي أن أذهب.

- لا أرجوك! صرخ سيان. أعدك بأن لا أزعجك بعد الآن

- إذا ذهبت الآن - ساكون في موقف محرج ومدعاة للسخرية. عندما أستطيع أن أفرض شخصيتي الجديدة ستنتهي هذه المسألة، سأضعك في طائرة توصلك إلى انكلترا.

ترددت توني لحظة.

- حسناً، هذا الوضع لا يعجبني، لكنني سأبقى. في أية ساعة العشاء جاهزاً؟

- قريب الساعة السابعة. لديك الوقت أذن للراحة... وسأراك لاحقاً.

- قررت توني أن تأخذ حماماً، فهي بحاجة لبعض الأسترخاء. تحت الماء الساخن وهي مغمضة العينين حاولت أن تنظم أفكارها. سيان لا يحبها. انه يطلب منها فقط أن تساعده ليحصل على استقلاليته. بينما راف.... القصاص الذي تفرضه عليه كارين غير عادل. بالنسبة لرجل مثله يتحمل هذا القصاص، عليه أن يتحمل نتائج ذنبه.

ارتدت الفتاة ثوباً قطنياً خفيفاً أخضر. وتأملت نفسها في المرآة.

ستكون بدون شك أكثر سعادة لو أن منظرها كان مختلفاً... لكن لا! كل مآسيها كانت نتيجة لسذاجتها عليها

بالتأكيد أن تمتلك القدرة على قراءة ما يختبأ خلف الكلمات وخلف الوجوه. . . وبأمكانها أن تبدأ مع كارين، مثلا.

لكن كارين تناولت عشاءها في غرفتها هذا المساء. كان الجو مشحوناً بين توني والأخوين حول طاولة الطعام. ولحسن الحظ ابتلع راف طعامه بسرعة، وخرج.

وما أن أصبحا وحيدين قالت توني:

ـ لم أعد أحتمل هذا الوضع يا سيان.

نظر إليها الشاب فجأة وسألها:

ـ ما هي حقيقة مشاعرك نحوه.

ترددت توني.

ـ أني لا أكرهه، اعترفت أخيراً، لكن تقع علي بعض المسؤولية لأني أشتركت بمحض إرادتي بهذه الخدعة، وعلى كل اعتقد أن راف وقع في فخ أكثر منك وأني أشعر ببعض التعاطف معه.

ـ لن يكون ممتناً لك.

ـ هذا أكيد طالما أنني لم أمنحه صداقتي.

فكرت توني بالسهرة الطويلة التي تنتظرها.

ـ هل تظن بأنه سيرفض إذا ذهبت لأرى الخيول؟

ـ بالتأكيد لا، إذا كنت ترغبين بذلك. . . أتريدين أن أصطحبك.

فهزت الفتاة رأسها.

ـ لا، أفضل أن أكون وحيدة هذا المساء.

ـ وعدتك ألا أزعجك، ولكني أرى أنه علينا أن نقضي سوياً بعض الوقت، على الأقل حتى يتسنى لهم رؤيتنا. . . . العيد السنوي سيقام غداً. ما رأيك لو ذهبنا لمشاهدته.

ـ إنها فكرة جيدة. إلى الغد أذن، لأني أريد النوم بعد هذه النزهة، لقد كان النهار طويلاً.

خرجت توني إلى الحديقة، وتمشت حول بركة السباحة ثم توجهت نحو الأسطبل، وكانت تفكر دائماً بأحداث الليلة الماضية. وعاد قلبها من جديد ينبض بألم. كل قبلة، كل لمسة كانت تسعدها. لن تنجح أبداً في تعذيب راف كما فعل معها! هذا الرجل يصعب الوصول إليه. . . وما أن فتحت باب الأسطبل، حتى أقترب منها أحد الخيول.

ـ أنت ألطف من أن يمتلكك هكذا رجل. همست له الفتاة وهي تداعب رقبته.

ـ يا للأسف، لا يشاركك الكثيرون رأيك، أليس كذلك؟ كان ذلك صوت راف من خلفها. هل ضجرت سريعاً من سيان؟

استدارت توني على مهل.

ـ أبداً، أجابته بهدوء. أنه لا يرغب بالتنزه بكل بساطة.

نظر إليها راف بغطرسة مما جعل الفتاة تجمد في مكانها.

ـ قولي لي الآن لماذا أتيت إلى هنا.

فتوترت أعصاب توني وأجابته.

ـ كنت أجهل أنني سألتقيك هنا.

ـ طبعاً. . . تريدين فقط زيارة الأسطبل. مستهزءاً، ولم يصدقها.

ـ بالتأكيد، لقد قمت بهذه الزيارة. والآن تصبح على خير.

أمسكها راف بيدها. وأجبرها على النظر إليه. وكانت عيناه تلمعان وتتواعدان.

ـ لن تكوني زوجة لسيان. سأمنعك من ذلك بأية وسيلة!

أحست توني بدفء يده. معه حق، فهي لن تتزوج سيان.

إنها هي فقط التي قررت ذلك وستعلنه عندما يحين الوقت.

- وكيف ستفعل ذلك؟ سألته، سيان ليس طفلاً، ولن يطيعك!

جذبها راف نحوه، وأمسكها بيديه القويتين، توني لم تستطع ولم ترد مقاومته. تمنت لو تغمض عينيها وتنسى كل شيء. ولكنها تمالكت نفسها وقالت له:

- هل استلمت بعض التعليمات من زوجة أبيك؟

- لا تدخلي كارين في هذا، قال بقسوة. أنا المسؤول الوحيد عن تصرفاتي. سأجعلك تندمين على مجيئك إلى بحيرة الذهب!

فنظرت إليه الفتاة بتحدٍ.

- سيكون هذا صعباً. فلست بالخجولة الضعيفة.

- سوف نرى.

دفعها راف بقوة. فأدارت ظهرها وحاولت أن تثبت نفسها. سيكون العراك بدون جدوى. ولكنها لن تتخلى عنه. لن ترحل قبل أن يفهم راف بأنها لا تتصرف إلا حسب إرادتها الشخصية.

- كان الليل في أوله عندما عادت توني إلى غرفتها. ولم تعد الأشجار المحيطة بالأسطبل ترى في الظلام. وكان راف يراقبها من مكان ما، وينتظر أن يرى ضوء نافذتها.

وعندما استيقظت في اليوم الثاني. كانت الشمس تضيء السماء. فذهبت إلى غرفة الطعام وهناك رأت سيان يجلس وحيداً حول الطاولة.

راف غير موجود، لقد ذهب لقضاء بعض الأعمال. وأمي لا تنزل عادة لتناول الفطور.

ثم تأمل الفتاة وقال لها:

- لست أنيقة جداً من أجل العيد السنوي. ينطلون جينز وحذاء طويل لا يناسبان هذا النهار!

- سأجد بنطلوناً آخر في إحدى حقائبي واعترف لك بأني عندما جئت إلى هنا لم أكن أعرف ما هو لباس هذا البلد الوطني!

- صحيح.... أنت لم تخبرني لماذا جئت إلى كندا. سألها سيان.

لم ترغب توني بالعودة إلى ذكرياتها. فأجابته:

- كنت بحاجة لبعض التغيير، شرحت له مبتسمة. كم من الوقت يستمر العيد؟

- عشرة أيام. أجابها سيان دون أن يلاحظ بأنها غيرت الموضوع بلباقة.

كل المدينة تشارك فيه. وإذا أردت بإمكاننا أن نقضي السهرة مع بعض أصدقائي...

لم ترق الفكرة كثيراً لتوني.

- هل يجب أن أبدو أمامهم أيضاً خطيبتك؟

- نعم يجب ذلك، أجابها بحدة.

تأففت توني. ولكن أفكارها كانت بعيدة جداً... كيف السبيل إلى التراجع الآن؟..

كان وسط المدينة محاطاً بالبنايات الحديثة العالية وبين هذه البنايات شوارع واسعة ومساحات خضراء مزروعة بالأشجار. وكان العيد يقام في الساحة الكبرى. أوقف سيان سيارته، وها هو مع توني ينخرطان بين الجماهير التي تتجول بين المنصات. وأبرز ما في هذا العيد كان سباق الخيل الذي يشغل حيزاً واسعاً من المكان.

ـ تعالي، لقد حجزت الأماكن ـ قال سيان وهو يسحبها نحو مدخل صرح واسع.

تسلقا درجات تؤدي إلى منصات الخطباء الشعبيين. وكان المكان الذي جلسا فيه يمكنهما من الرؤية جيداً. وكان المشاهدون كثر، يستمتعون بانتظار أول سباق.

أعلن الإنطلاق وسط هيجان عام. والمشتركون جاثمون على طنابير ضيقة يتنافسون بشجاعة وإقدام.

ـ المخاطرة هي الناحية الأهم في المشهد. شرح لها سيان. أنظري، أضاف وهو يقدم لتوني منظاراً، الرقم أربعة، أراهنك على أنه سيكون الرابح!

تابعت توني السباق للحظات ثم نقلت أهتمامها إلى المجموعة التي كانت مسرعة على المدرج. وعلى المنصة لفت نظرها رجل شعره أشقر جالساً بين مدعوي الشرف وناديت سيان وسألته:

ـ ألم تقل لي أن راف يحضر أجتماع عمل؟

بنفس اللحظة اقترب المتبارون من المنعطف الأخير. فنهض سيان ككل المشاهدين الذين حوله. ولمعت عيناه بحماس، ووجهه ينبض بحيوية الشباب، وكان يتلفظ بكلمات التشجيع للرقم الذي أختاره.

حاولت توني أن تحصر انتباهها بالسباق ولكن بدون تركيز. وأحست بجأة بالحزن العميق.

ـ أرأيت! صرخ سيان، الحصان الذي كلمتك عنه وصل الأول الى خط الوصول! سيبقى بالتأكيد إلى الجولة النهائية!

عاد سيان للجلوس وبدا قد تذكر فجأة سؤال توني.

ـ عن ماذا كنت تسألينني الآن؟

قالت الفتاة بصوت متقطع.

ـ أخوك هنا. بصحبة شقراء فاتنة تبدو لي وكأنها امرأة أعمال قوية النفوذ!

ـ أين هو سألها سيان وهو يمسك المنظار.

ـ في الصف الثالث على الشمال، تلبس قميصاً زهرياً وإيشارباً حول عنقها.

ـ آه، نعم! لقد رأيتهما...

ـ سيان الذي بدت عليه الحيرة. أحتفظ بالصمت قليلاً قبل أن يجيب!

ـ إنها «أندري كوبر» لم أكن أعتقد أن راف يعرفها. فهي بالكاد تبلغ العشرين من العمر.

كانت توني قد لاحظت ذلك... إذا كان راف يستعين بهذه الفتاة ليتسلى بها عن مشاكله، فعليه أن يكون خجلاً. فهي صغيرة جداً بالنسبة له.

ـ ومن تكون؟ سألته توني.

ـ والدها مالك مزرعة في الضواحي، أكبرها في المنطقة. وهذا الأراضي تحاذي الأرض «السيرو واتر» خاصة راف.

ـ أيملك راف مزرعة؟

ـ نعم لقد ورثها عن أمه... وأطرق الشاب مفكراً.

ـ وهل يفكر في بيعها إلى «الكوبر»، لقد صمد طويلاً...

ـ ولكني أتساءل لماذا يفاوض الفتاة بالموضوع، أبدت توني هذه الملاحظة ثم خطرت لها فكرة أخرى.

ـ إلا إذا كان بينهما أعمالاً أخرى...

ـ كلا، ليس هذا هو السؤال. أمي لن تسمح له بالزواج أبداً.

ـ ستكون مرغمة على القبول، إذا قرر ذلك يوماً. من المستحيل أن يبقى أسير سيطرتها لأنه لم يلتقي حتى الآن بالشخصية التي تعجبه. كما أنه لا تستطيع أن يقضي باقي حياته يتحمل كونه مذنباً أمام كارين...

ـ ليست «أندري» ـ أكد لها سيان ـ فهي لن تتزوج رجلاً يكبرها بأربعة عشر عاماً.

ـ ولما لا؟

كل كلمة كانت تزيد من ألم توني، ولكنها كانت مضطرة إلى متابعة الحديث.

ـ أن البنات الصغيرات يعجبن أحياناً بالرجال الأكبر سناً منهن. هل لاحظت طريقتها بالنظر إليه؟

ـ لديك خيال واسع، ردت عليه توني ببرودة.

حاول الشاب أن يغير الموضوع. وظهرت على وجهه ابتسامة مشعة.

ـ ما رأيك لو نأخذ كأساً قبل أن يبدأ المهرجان من جديد؟ لا تتحركي سأهتم بالأمر.

بعد دقائق، عاد يحمل زجاجتي عصير الفاكهة المثلجة. وهنا انطلق المتسابقون في الدورة الثانية. بينما كان سيان مأخوذاً بمتابعة الجياد. كانت توني تقاوم ميلها القوي لأخذ المنظار.

ولكنها كانت عاجزة عن المقاومة... لم يكن راف مهتماً كثيراً بالسباق. ولكن عندما كانت رفيقته تميل نحوه وتهمس في أذنه كانت ملامحه تشرق بضحكة عريضة.

طبعاً، الآنسة «كوبر» كانت جميلة وشابة... أي رجل لا يحلم بهكذا سحر؟ كانت توني تفكر وقلبها يعتصر بالمرارة.

ـ ٧ ـ

كما راهن سيان، الحصان رقم أربعة خرج من السباق رابحاً.

بينما كانت هي تتابع بقلق التحضير لمباراة أخرى. كانت توني تفكر. لقد فهمت أخيراً أنها لم تقبل مساعدة سيان إلا لكي تستمر في رؤية راف.

لماذا كانت غبية إلى هذا الحد؟ والآن، يستطيع راف أن يسخر منها.

ماذا تستطيع أن تفعل؟ الأختفاء دون تقديم تفاسير ولا شروحات؟

تبقى على وعدها لسيان حتى يقرر هو وضع حد لهذه الخديعة؟ أم تعترف بكل شيء لـ «راف»؟ ولم ترتح لأحد هذه الأحتمالات. والأحتمال الأخير كان المستبعد أكثر من غيره. ليس فقط لأنه خيانة بحق سيان. لكن لأن راف سيعتبرها دساسة أكثر من قبل.

قبل أن ينتهي السباق، عرض سيان على توني أن يذهبا لتناول الغداء.

فقبلت توني. ومع ذلك تساءلت الفتاة قلقة هل أن راف ورفيقته ذهبا أيضاً لتناول الغداء. على كل أن أحتمال مقابلتهما

وسط هذا الجمهور الغفير ضعيفة. وعندما وجدت أن سيان يصحبها إلى المطعم الرئيسي في هذا العيد، أزدادت شكوكها.

ـ قد يكون أخاك هنا... قالت له توني.

ـ وإن يكن، لنا الحق بالجلوس هنا أكثر منه، طبعاً فقد كان غير مهتماً بتتبع السباق...

راف لم يأت إلى هنا إلا من أجل صديقته الفاتنة، كانت توني تحدث نفسها وهي تستعيد صورة الفتاة في ذاكرتها، ولماذا لا تكون الآنسة «كوبر» سعيدة؟ على عكس توني، وعلاقتها مع راف علاقة بسيطة وخالية من الغموض...

عندما دخلا إلى المطعم. كان سيان أول من رآهما. ثم تبعته توني.

ـ أنستطيع الإنضمام إليكما؟ سألهما سيان.

فابتسمت الفتاة وأجابت:

ـ طبعاً، تفضلا.

وعندما قدم راف توني، خفّ حماس «أندري».

ـ آه، لم أكن أعلم.... تهاني لكما. ومتى ستحتفلان بالزواج؟

ـ لم نقرر بعد، أجاب سيان قبل أن يتسنى الوقت لتوني للإجابة.

قريباً بدون شك. كيف حال والديك، لقد مضى وقت طويل لم أراهما فيه...

ـ نعم، فهما لم يشاهداك منذ الخريف الماضي. إنهما بحالة جيدة. شكراً.

ثم عادت نظرات «أندري» مرة ثانية إلى توني وسألتها:

ـ أيبدو هذا البلد لك مختلفاً عن انكلترا؟

ـ نعم... هنا تقضون معظم أوقاتكم في الخارج. بينما عندنا يمر الوقت بسرعة فيجد المرء صعوبة في القيام بنشاطات ترفيهية.

ـ ستعتادين فيما بعد أن تطلقي كلمة «عندنا» على كندا، أليس كذلك؟

ـ نعم، من المحتمل... لقد أعلمني سيان بأن عائلتك تمتلك مزرعة في شمال المدينة، وكانت توني تحدثها بمودة.

ـ سيان حدثك عني؟ دهشت «أندري».

ـ نعم. لقد رأيناكما بواسطة المنظار. قال لها سيان.

وهنا تابعت أندري:

ـ حديثيني كيف التقيتما.

ـ كنت أعمل في البحيرة الذهبية كسائسة للخيل، شرحت لها توني، كنت أنوب مكان السائس الأصلي لمدة أسابيع.

ـ البحيرة الذهبية؟. آه، أهي التي حدثتني عنها في المرة الأخيرة التي زرتني بها؟ كنت تتمنى أن تقيم عدة منتجعات مماثلة كما اعتقد...

ـ المشروع لا يزال قائماً، أجاب راف وهو ينظر إلى أخيه نظرة مكر وسخرية، وفرص نجاحنا تزداد.

ـ لأنني شخصياً خارج المنافسة الآن، علق عليه سيان ممازحاً، واعترف بأني سأكون مسروراً!

ثم وجهت أندري الحديث إلى توني:

ـ إذا كنت تحبين ركوب الخيل، فيجب على سيان أن يصطحبك لزيارتنا. فلدينا مربط خيل مهم. وبامكاننا أن ننظم العطلة في المزرعة. وأنت ستأتي يا راف أليس كذلك؟

ـ هذا أحتمال ضعيف، فليس لدي الوقت.

وهنا شعرت «أندري» بالغيظ.

ـ أليس لديك دقيقة فراغ واحدة؟

ابتسم راف محاولاً تهدأتها.

ـ هذا ممكن... أتريدين بعض الحلوى؟

أدركت «أندري» أنه يريد أن ينهي هذا النقاش.

ـ لا، أريد العودة. لدي تدريب على المسرحية بعد نصف ساعة مشتركة مع فرقة البنات الكنديات. نحن نقيم عرضاً كل مساء. أتمنى أن تحضروه في أحد هذه الأيام!

ـ نعم سنحضره، أجاب سيان بدون حماس.

ـ إلى اللقاء أذن. وقامت الفتاة بصحبة راف.

عندما نظرت أندري إلى سيان نظرة خفية، تخلصت توني من بعض مخاوفها.

ـ أتمنى لكما السعادة معاً. أضافت قبل أن تذهب. بينما راف اكتفى بتحيتهم باشارة من رأسه.

وعندما أصبحا لوحدهما. نظرت توني ألى سيان:

ـ أنت تهتم بها كثيراً! لماذا؟

ـ مجرد فضول. رد سيان وهو يهز كتفيه.

ـ هل أنت راضٍ الآن؟

ـ لا.

كل مخططاته عن المكيدة طارت فجأة.

ـ لو تسبب راف بأي أذى لآندري، سوف أ... ثم تابع سيان:

ـ هل أخترت طعامك؟

لقد كان المطعم يغص بالزبائن، أما الآن فقد بدأ الشباب بأنهاء طعامهم وبالعودة إلى ميدان العيد.

ـ أتريدين البقاء لمشاهدة المنصات. سألها سيان.

لم ترق الفكرة لتوني.

ـ ألا تعتقد أنه علينا أن ننضم إلى السيدة ستيوارت؟ أنها وحيدة منذ الصباح.

ـ كلا أنها مع «إيفا».

ـ «إيفا»؟

ـ أنها ممرضتها. لكنها تهتم أيضاً بتلبية كل حاجات أمي. وتسليتها أيضاً.

ـ ولكن ألا تمضي بعض الوقت مع أمك؟

ـ نادراً. أعترف سيان. ليس لدينا أية أهتمامات مشتركة. بالأضافة إلى أن أمي لا تقضي كل الوقت في المنزل. لديها سيارة خاصة بها وتتوافق مع حالتها، وهي تفضل رفقة راف دائماً...

ـ أتعتقدين أنني أبحث عن مبررات لي. أليس كذلك؟ كل مرة أرى فيها والدتي، تحاول هي مقارنتي براف.

ـ ومن أجل هذا تريد أن تنتقم من الأثنين وبمساعدتي. قالت توني بهدوء. ولكن هل فكرت فقط بما سيحصل عندما سنعلن انفصالنا؟

ـ كلا، أجابها الشاب غاضباً. عندها سأرحل بنفس اللحظة التي سترحلين بها.

ـ إلى أين؟

ـ لست أدري.

قررت توني أن تكلمه بصراحة.

ـ سيان، لقد حان وقت التفكير. ليس بأمكانك أن تقضي حياتك هكذا! هيا بنا، لنرجع...

www.rewity.com

توجها نحو المرآب. وظل سيان صامتاً كل الطريق. يتمنى أن يثق أكثر بموقف توني، وهي تفهم ذلك. ولكن هذه المرة يختلف الأمر. أن سيان ليس إلا طفلاً متقلباً. بالإضافة إلى مشاعر الغيرة التي يكنها لأخيه. ليس لديه طموحات ولا إرادة. لقد استعان بها كي يكون له العذر لمغادرة البحيرة الذهبية.

كيف ستتصرف توني الآن أمام هذا الموقف المحرج؟ إذا استطاع راف أن ينفذ تهديده. فستكون هي في انكلترا خلال يوم أو يومين...

عندما وصلا وجدا سيارة راف متوقفة أمام البيت.

ـ لقد نجح في أن يشير لنا بأنه عاد. ما كان علينا أن نسرع بالرجوع.

ـ هو لم يفكر في ذلك بالتأكيد. قالت توني مدافعة عن راف.

ـ أنا أرفض فكرة قضاء بعد الظهر هنا. سأعود الى المدينة، هل تأتين؟

نظرت إليه توني طويلاً ثم هزت رأسها وقالت:

ـ لا، سأبقى هنا.

ـ كما تشائين.

نزلت توني من السيارة، وابتعد سيان بسيارته وكانت الدواليب تحدث ضجيجاً مزعجاً لشدة سرعته.

لقد أصبحت توني وحيدة كي تواجه هذه العائلة... وكانت تشعر بحاجة إلى الراحة والتفكير.

صعدت إلى غرفتها وكانت الأبواب والنوافذ التي تطل على الشرفة مفتوحة. كان سمع من الحديقة صوت كارين واضحاً.

ـ نعم، أنت واثق من أنه يعني سيان؟

ـ نعم، أجابها راف، يبدو أنهما غيرا رأيهما، وقررا أن يتابعا تنزههما.

ولكن لماذا جاء إلى هنا؟

ـ ومن يدري؟ ابنك ليس منطقياً... لقد تناقشا. سيان ترك توني في الأحتفال، سيندم على مجيئه الى هنا...

ـ هل بدا أنهما مختلفان أثناء الغداء.

ـ لا، لكن سيان لم يسر لرؤيتي برفقة أندري. لقد نجحت خطتي أكثر ما كنت أتصور.

بعد صمت، قالت كارين:

ـ «أندري» انسانة عظيمة، لا يجب أن تستخدمها بهذا الشكل...

ـ لقد تصرفت بنفس الشكل المطلوب وكأنها كانت متطلعة على الموقف. لقد أحبت سيان كثيراً عندما قضى أسبوعاً في الـ «سير واتر» الخريف الماضي: وهو كان يبدو عليه أنه يحبها كثيراً.

ـ ليس لدرجة أن يعلنه.

ـ هل نسيت أن سيان عاجز عن القيام بهذه الخطوة. وصديقتنا الإنكليزية تفهم هذا، وأندري، إذا شجعناها فستكون جاهزة. هذه الصغيرة تعرف جيداً ماذا تريد. أنت لا تتمنين أن يتزوج سيان تلك الكندية؟

ـ نعم، دون شك، أية فتاة أخرى ستكون أفضل من توني. أنت لم تقل لي بأنها على هذا القدر من الجمال. يا لهذه العيون! وهذا الشعر الجميل! هذا ما يدفع بالرجل إلى الجنون رغبة بها.

ـ رغبة بها؟ قال راف بلهجة قاسية، ممكن، على كل، أنا

لم أصدق أية كلمة مما روته لي، ولا أثق بها...

- لن يكون من السهل التخلص منها. أنني أخشاها. قالت السيدة ستيوارت.

فضحك راف ضحكة ساخرة.

- لا تقلقي، سترحل بنفسها!.

بعد أن سمعت توني الحديث، أغلقت النافذو بهدوء. ودمعت عيناها. ولكنها مسحتها بغضب. أنها تستحق ما سمعته خلسة.

وأكثر ما أثارها هو خبث كارين، والمحبة الكاذبة التي أظهرتها لها! فغضبت كثيراً. ليس راف ولا زوجة أبيه يستطيعان أن يقررا عنها. ستقاوم في عقر دارهما!

فارتدت مايوه السباحة التي يظهر جمال جسمها ورقته. «رغبة، ممكن» هذا ما قاله راف،... حسناً سنحاول أن تزيل الشك هذا. وستموت كارين من الغيرة وتوني ستسخر منها! رفعت توني شعرها. وارتدت قميصاً ونظرت لنفسها في المرآة. نعم أنها تملك جسداً خلاباً. هل تستطيع أن تستفيد منه دون أن تخسر؟ لن تتأخر في معرفة ذلك...

وبينما كانت توني تنزل إلى الحديقة، كانت امرأة ترتدي لباساً أبيض تصعد السلالم، فابتسمت لها ومدت يدها.

- أنت أيفا أليس كذلك؟ أنا «توني برادبوري».

- أعلم.

كان الجواب جيداً ولكنه يخلو من الحرارة.

- كنت أعتقد أنك بالمدينة مع سيان.

- لقد عاد بعد أن أوصلني الى هنا، فأنا لست معتادة على هكذا صخب. سأذهب للسباحة. ألا يزال السيد والسيدة

ستيوارت في الخارج؟

- نعم، أظن ذلك.

- تابعت توني نزول السلم. وأحست بنظرات «أيفا» من الخلف. لماذا تصر كارين على أن ترتدي الممرضة هذا الزي الأبيض؟ قد يكون السبب تذكير راف دائماً بأنها تحتاج إلى ممرضة. مما لا يتيح له أن ينسى ذنبه.

أن فكرة استغلال كارين لعلاقاتها في سبيل السيطرة على حياة الأشخاص المحيطين بها كانت تثير توني. خاصة مع راف.... عادت عواطفها تتأجج من جديد. فمشت واثقة نحو حوض السباحة.

كانت كارين جالسة على كرسي طويل مرتدية «تنورة باهتة الألوان، وتضع شالاً»على كتفيها. لقد كانت على ما يبدو فاتنة في شبابها، فكرت توني بذلك وهي تحاول جاهدة ألا تشفق على حالتها المأساوية.

وعندما رأت توني راف أزداد قرارها حزماً، كان منظره وهو يمد رجليه على كرسيه أمامه وظهره البرونزي اللون واللامبالاة التي تبدو عليه دائماً يدل على أنه متكبر ومتغطرس.

شاهدتها كارين أولاً. ودهشتها لم تؤثر في توني التي تقدمت نحوها وهي تبتسم.

- السباحة فكرة جيدة في هذا الحر! قالت توني.

التفت راف وقال:

هل عاد سيان إلى المدينة بدونك؟

- نعم، هذا صحيح. نحن مختلفان من حيث الأهتمامات. وسيعود لاحقاً.

- تبدين واثقة جداً من نفسك. قال راف ببرودة.

ـ طبعاً، أنها الوسيلة الوحيدة لمجابهة الحياة ومصاعبها. . . أجابته توني ضاحكة.

أعتقد أنك متفق معي حول هذه النقطة. أليس كذلك يا راف؟

لقد وجدت توني صعوبة في لفظ أسمه. وكانت عيناه تلمعان بالشك.

فجلست توني بدون مبالاة حول الطاولة القريبة من كرسي راف.

ووضعت يديها خلف ظهرها، وهنا انفتح القميص الذي تلفه حولها فأظهر تناسق قامتها وجمال قدميها المتشابكتين الواحدة فوق الأخرى. وأمام ذهول كارين. لاحظت توني نظرات راف على جسدها. فقررت أن لا تضعف، وأرادت أن يرغب بها بشكل يفقد معه عقله. طبعاً دون أن يحصل على ما يتبغيه. . . . . فقالت له:

ـ أريد أن أسبح قليلاً، ألا تأتي؟

ودون أن تنتظر الجواب، تركت قميصها ينزلق على قدميها. وتوجهت ببطء نحو الحوض. وقفت على حافة الحوض قليلاً ورفعت شعرها وغطست بالماء.

وعندما صعدت وجدت أن راف لا يزال مكانه يتكلم مع كارين، ثم قام واتجه نحو الحوض. وعندما غطس بدأ قلب توني بالخفقان المرعب.

كانت تنتظر أن ينضم إليها. أدارت توني ظهرها نحو حافة الحوض، وتعلقت بيديه، فسألها راف عندما أقتربت منه.

ـ ماذا سمعت؟

فتحت توني عينيها وقالت:

ـ عفواً؟

ـ لا تدعي البراءة! لقد كنت بغرفتك منذ لحظات أليس كذلك؟

ـ هذا صحيح ـ رفعت رأسها نحو النافذة المغلقة وتابعت: لكن الصوت لا يخترق الزجاج الا تعرف ذلك؟

ـ لقد كانت مفتوحة دائماً.

ـ ولكن أحد أغلقها دون شك أجابته وهي تبتسم ابتسامة ساخرة. على كل حال لم أكن لأفهم أسرار أعمالكما.

لم يصدقها راف، هذا واضح. ولكن هذا لا يهم. فعادت للإبتسام من جديد.

ـ مسكين يا راف، أنت تشك بي! أسترخ. . . . بأمكاننا أن نكون أصدقاء.

تردد راف. لقد أثارت فضوله.

ـ نعم، هذا ممكن. . . أجابها بمودة.

فقالت توني لنفسها «لقد وقع في الفخ».

ـ أتتناولين كأساً معي، أن كارين ستمضي وقتاً في التمرينات البدنية.

لم تخف توني دهشتها.

ـ هل ستحصل على نتائج مشجعة.

هذا لن يسمح لها بالسير، ولكن يمكنها من إبقاء عضلاتها في حالة جيدة. فهي لم تفوت ولا تدريب منذ خمسة عشر عاماً.

حتى عندما كانت تتوعك؟ سألته توني وهي تنظر في عينيه. لقد كلمني سيان عن آلامها. . .

ـ أن الشلل لا يلغي بالضرورة الأحاسيس، أجابها بجفاف. هلا أتيت؟

لم تجبه توني بل قفزت للسباحة، ومست رجلها خصر راف. وعندما وصلت إلى الجهة الأخرى من الحوض كان راف قد سبقها ومد لها يده. فقالت له ضاحكة:

ـ شكراً.

جلست توني على المقعد الذي كان يشغله راف من قبل محاولة الا تنظر إلى كارين التي كانت تتابع المشهد.

ـ هذا ما يعجبني من الحياة! تنهدت توني.

التفت راف الى كارين وقال:

ـ أتريدين أن تشربي شيئاً؟

ـ لا، ستأتي أيفا بين لحظة واخرى. ولكن لا تشغل نفسك بي.

تجاهل راف التهكم. ولكن هل فهمه؟ تساءلت توني. ثم دخل راف إلى الصالون الذي يطل على الحديقة. ثم رأته توني خلف البار يعد كأساً. وهنا قطعت كارين الصمت وسألتها:

ـ ألم يقل لك سيان في أية ساعة سيعود؟

ـ كلا!

ـ هل انتما مختلفان حقاً؟

ـ لا، أبداً. كل ما في الأمر لا نتبادل الأحاسيس حول بعض الأشياء. كل منا حر...

ـ ألا تعتقدين أنه يجب عليه أن يمضي وقته بتسليتك؟

كانت توني تفكر بحقيقة علاقتها مع ابنها.

ـ أعتقد أنه ليس من حق أحد أن يفرض تضحيات على أحد آخر. وسيان لم يلمني على بقائي هنا بعد الظهر ـ وعندما سيعود سيكون سعيداً لأنه استطاع أن يمضي وقته كما كان يريد.

راف الذي كان يحمل الشراب، منع كارين من الإجابة.

وتنقلت نظراته بين الإمرأتين وكإنه على علم بما جرى بينهما.

ـ ستكون «أيفا» هنا بعد خمسة دقائق. هل ستنزلين للعشاء هذا المساء؟

ـ طبعاً. كالعادة.

جلس راف على كرسي قريب. لقد لاحظ حركات كارين، لكنه تظاهر بأنه لم يلاحظ.

ـ لو ذهبنا في عطلة الأسبوع إلى «السيرو واتر» فإن تغيير الجو سيناسبك.

ـ سأفكر في ذلك. لكن هذا يتوقف على مشاريع سيان.

فكرت توني، إن وجود الشاب ضروري طبعاً! ولكن كيف ستستطيع «أندري» أن تفرض سحرها عليه؟ فجأة أحست الفتاة أن كل الحقد الذي كان يجتاحها من قبل قد ولّى، ولم يبقى لها إلا الضجر. لم تكن هي بحاجة إلى كل هذه المؤامرات. وإذا لم يقرر سيان وضع حدٍ لها، فإنها ستضطر الى التخلي عنه وخيانته.

- ٨ -

وصول «إيفا» بعث السكينة في قلب توني. فأسرع راف وأخذ زوجة أبيه بين ذراعيه ووضعها على الكرسي النقالة التي اختفت بسرعة داخل البيت. فندمت على كلامها مع كارين. مرة أخرى وستجد نفسها متورطة أكثر في أشياء لا تعنيها! فنظرت إلى راف وسألته كي تقطع الصمت بينهما:

- ألا تستعمل كارين الحوض أبداً في تمارينها؟

- لا، فهي لا تتحمل فكرة إظهار قدميها. أجابها راف ببرودة.

فقلبت الفتاة شفتيها وتساءلت: أيكون راف قد نسي معاهدة السلام بينهما؟

- ماذا قلت لها؟ سألها بحدة.

- متى؟ سألته توني محاولة الأستفادة من الوقت.

- لا تتظاهري بالبراءة. عندما كنت أحضر المشروب، لقد كانت كارين غاضبة عند عودتي.

- كنا نتحدث عن الصداقة وعن الإيثار...

- لقد كان رأيك مخالفاً. هذا يبدو طبيعي.

تحملت الفتاة نظراته وأجابت.

- أعتقد أن التضحية تكون إرادية وليست إلزامية.

صمت راف وحدث نفسه، لماذا يصعب على توني أن تبقي نفسها بعيدة عن مشاكل هذه العائلة؟

- لنتحدث في أمور أخرى، أتريد ذلك؟

- طبعاً، قال لها بهدوء، كأصدقاء بأمكاننا أن نتحدث عن كل شيء.

- راف... بدأت توني بتردد. أن ما قلته منذ قليل في الحوض....

وهنا سمعت صوتاً من داخل المنزل. كان صوت سيان.

- أتتكلمان عني؟ لقد عاد الولد المدلل.

- لو أنه أبكر بالعودة لكان شاهد أمه. قال راف.

- توني، أريدك على أنفراد!

- لا أريد أزعاجكما... قال راف وهو ينهض. سنكمل حديثنا في وقت آخر - موجهاً حديثه إلى توني. وأختفى خلف أبواب الصالون الزجاجية.

- عما كنتما تتحدثان؟ سألها سيان والشكوك تساوره.

- راف يتهكم، أجابته محاولة المراوغة. ولكن الفتاة لاحظت غضب سيان.

- سيان ماذا بك؟

- أريد أن أعتذر عن موقفي بعد الظهر... لم يكن لطيفاً في أن أتركك مع العائلة لوحدك.

تذكرت توني المؤامرة. ولم تكن تريد أن تزيد من أعتقاده بأن أمه وأخيه يدبران له المكائد. والآن يحاولان أن يستخدما أندري.

أنها فتاة صغيرة وبريئة لا تستحق أن تبغضها توني.

- سيان، هل يبدو لك وجودي هنا مفيداً؟

- إذا رحلت، فإنك تتراجعين عن كلامك!

- أعرف. أرجوك أن تتركني.

- أرفض. لم يحن الوقت بعد. تـوني... أتوسل إليك، أنني بحاجة لمن يقف إلى جانبي!

- لكن، على الأقل لو أنك عرفت لماذا تحارب! إذ كنت لا تريد العمل لدى عائلتك، لماذا لا تحاول العمل في نشاطات أخرى؟ التصوير مثلاً....

هز سيان كتفيه.

- وكيف سأعيش. أمي تحجب عني ثروتي إلى أن أبلغ الخامسة والعشرين.

- أطلب منها أن تجعل لك ببعض المال. وإذا وجدتك متحمساً لمشروع ما فإنها ستقبل مساعدتك...

- أشك بذلك. قال لها مؤكداً.

- حاول الآن مجدداً. فالأمر يستوجب المحاولة.

فأطرق الشاب ساهماً وقال:

- سأفكر في ذلك. أجابها أخيراً.

لكن توني لم ترض عن جواب غامض كهذا.

- أقترح أن نذهب لقضاء العطلة في السير واتر، قالت توني. إذا لم تقرر شيئاً. أنا ذاهبة فكر بالأمر جيداً.

ثم نهضت ولبست قميصها.

- سأبدل ملابسي وسألتقيك على العشاء.

- حسناً، ردد الشاب. أترافقيني إلى السهرة التي يقيمها أحد أصدقائي؟

ترددت توني. إذا رفضت، ستخاطر في مواجهة أخرى مع راف. وإذا قبلت ستزلق أكثر فأكثر في هذه الخدعة. أنها تتطلع

إلى حل تسوية.

- حسناً على شرط أن تقدمني كصديقة للعائلة، واتمنى أن لا يكون أخوك موجوداً.

- لا، قال مستسلماً، إني موافق.

وفي غرفتها، جففت توني شعرها. وسرحته حتى بدا وكأنه هالة مضيئة حول وجهها. ولونت شفتيها بلون أحمر خفيف مما زاد في جمال عينيها الخضراوين. وارتدت تنورة من القطن الملون وقميصاً مناسباً معها. وانتعلت صندلاً أتمت به أناقتها.

وعندما خرجت من الغرفة، كان راف يسير في الممر على بعد بضعة أمتار فرآها وانتظر أن تنضم إليه.

- إنك جاهزة للخروج؟ سألها ساخراً. انتما ذاهبان للسهرة عند مازون أليس كذلك؟

- لم يعلن لي سيان عن أسماء أصدقائه.

- أنهم بلا شك، المازون، احتفالاتهم بمناسبة العيد السنوي تكون أسطورية!

- هل ستكون هناك؟ سألته توني وهي تنزل الدرج.

- أترغبين برفقتي؟ أم تعتقدين أن سيان سيجد هناك فتاة أخرى.

وكان يبتسم هازءاً.

أحست توني بالرغبة بأن تبوح له بكل شيء.

- راف.....

ثم توقفت، ستشرح له أسباب تصرفها في حوض السباحة بدون ان تعترف له بأنها سمعت محادثته مع كارين؟ على كل، إذا فقدت ماء وجهها أمامه، فعلى الأقل ستتخلص من أعباء الكذب.... ولكنها التزمت الصمت، فهي لو أعترفت الحقيقة

تكون خائنة تجاه سيان.

- نعم؟ سألها راف بهدوء.

- أبداً، ألن تنزل؟ سألته توني عندما رأت أنه لا يزال في أعلى الدرج.

- أني أنتظر كارين - ولم يلاحظ تهربها من السؤال الأول - ألن تحظى بشرف العشاء مع الخطيبين؟

- بلى، رد عليه سيان الذي خرج لتوه من غرفته. لكن لو أن الأمر عائد لي لكنت...

- أعرف، قاطعه راف وعاد ينظر من جديد إلى توني.

- إن الفضل يعود لك باجتماع العائلة، وستكون كارين ممتنة لك.

فنظر إليه سيان شزراً وهو يبتعد في الممر وقال غاضباً:

- أنه لا يترك مناسبة تمر! إني أتمنى أن أذهب الآن فوراً.

- في هذه الحالة ستذهب وحدك، قاطعته توني، على كل كانت ملاحظته موجهة لي شخصياً، أنه يتهمني باستغلال الوضع لمصلحتي!

- أن مكائده لا تسير كما يرام، أجابها سيان.

- لم أنسى أبداً، وأنا هنا من أجل ذلك.

طيلة مدة الطعام بقيت كارين صامتة، وكانت توني تلاحظها خلسة.

كيف يمكن لإنسان يقضي أيامه جالساً على كرسي متحرك منطوياً في منزله أن يتخلص من عقلية محدودة محتمة. كارين إمرأة ذكية.

- لم أسألك إذا كان العيد أعجبك، سألتها كارين قبل انتهاء العشاء.

- وجدته مثيراً جداً. وأنا أكيدة أن أغلب المتفرجين لا يقدرون الخطر التي يواجهه المتبارون. هل أنت تشجعين ذلك.

هزت كارين رأسها وأجابتها بانقباض:

- لا يستهويني هذا النوع من اللهو.

- يتكلمون كثيراً عن المشهد الذي سيقدم هذه الليلة، تابعت توني.

- صحيح، الممثلون ممتازون، أشار راف، لقد حاولت جاهداً أن أقنع كارين بحضوره العام الماضي. قد تنجحين في ذلك أكثر مني يا توني.

- إذا ذهبنا جميعاً؟ أجابت توني، أنا أكيدة أننا سنحصل على أماكن في وسط الأسبوع.

- نعم، ماذا تقولين يا كارين؟ ألح راف.

فنظرت إليه كارين ولم يبدو على وجهها أي انفعال ثم قالت:

- سأفكر في ذلك. ولست بحاجة لأحد كي أقرر.

والتفتت إلى توني دون أن تتخلى عن هذه البرودة.

- إذا رافقنا إلى «السيرواتر» ستكون مناسبة لرؤية أندري، أعتقد أنك التقيتي بها. «الكوبر» جيران لنا.

- لا أذكر أنني دعيت، قاطعها سيان متكدراً.

- أنت لم تكن هنا عندما تحدثنا عن هذه الفكرة. أجابته أمه، وأعتقد بأن توني ترغب في بعض التغيير.

- هذا هو الواقع. أجابت توني قبل أن يتمكن سيان من أعطاء رأيه.

أنا لم أرى في حياتي مزرعة حقيقية!

- «سير واتر» ليست كبيرة جداً، قال راف. ومزرعة آل

«كوبر» تشغل مساحة أكبر بثلاث مرات من مساحة مزرعتنا. لا أشك بأن «أندري» ستكون سعيدة بزيارتكم لها.

ـ أني اتشوق لذلك! قالت توني ضاحكة.

توجه سيان وتوني إلى السهرة. وبعد أن قطعا قسماً من الضاحية الأساسية في كالغاري. وصلا إلى منزل لـ «المازون».

ودخلا في ممر طويل يؤدي إلى منزل طويل لكنه غير مرتفع، محاط بساحة واسعة. أوقف سيان السيارة بالقرب من عدد كبير من سيارات المدعوين.

وسمعا ضحكات عالية تأتي من الجهة الأخرى للمنزل. ووصلا إلى مرج في وسطه حوض سباحة. وبين احواض الزهور تتوزع الطاولات. وعليها انواع متعددة وشهية من الطعام. وكان الجو حيوياً.

جذب سيان الفتاة ودخلا بين المدعوين، فقدم لها اصدقائه. وسرعان ما انسجمت توني بالحديث عن الفروسية مع مجموعة من الشباب. ولم تعد ترى سيان، ثم اكتشفت فيما بعد أن أحد المستمعين إليها، الشاب الأشقر الشعر صاحب العيون الزرقاء هو شقيق أندري، واسمه مايك.

ـ لقد رأيت راف هذا الصباح ـ قال لها الشاب. وحدثني عن مشروع لقضاء العطلة في «السيرواتر»، واتمنى أن أراك هناك. ولقد دهشت عندمارأيته مع أختي هذا الصباح كنت دائماً أعتقد أنها تحب سيان. راف رجل جذاب جداً لكنه ليس الرجل المناسب «لأندري».

ـ إذا كنت لا ترغب في مقابلتها له لماذا لا تقول لراف بأن يتركها بسلام؟

ـ راف يعرفها منذ زمن بعيد. ولم يهتم بها أبداً، وأنا

اعرف بأنه لن يخاطر معها. كم من الوقت ستقضين في كالغاري؟

ـ أسبوع على الأقل.

ـ إذن سنلتقي مرة أخرى في المزرعة! أعلن لها الشاب ذلك وكان يبدو فاتناً.

وترك الشاب توني في رسط المجموعة بعد أن ناداه أحد الأصدقاء.

قررت الفتاة أن تزور الحديقة، لقد أحست بالحاجة للوحدة. فأخذت تتمشى في الحديقة على ضوء القمر الساحر، وفجأة لاحظت بيتاً صغيراً من الخشب بابه ونوافذ مفتوحة كي تسمح بدخول الهواء النعش منها.

ومن الداخل يسمع ضجيج السهرة خفيفاً. جلست توني على الأرض. واسندت رأسها إلى الحائط وأغمضت عينيها. كل هؤلاء الناس يبدون لها جذابين. فقط لو تستطيع أن تستريح، دون أن تفكر بالأكاذيب التي ترهقها!

فجأة أحست بوجود شخص آخر، فتحت عينيها، فتقدم نحوها ظل رجل ومع أن الفتاة تعرفت على ملامح راف إلا أنها بقيت ساكنة مكانها بينما أقترب هو منها.

ـ لقد تركك سيان مرة أخرى؟ سألها ساخراً. بأمكاني أن أمنحك رفقتي. . . . هذا ما تتمنينه أليس كذلك.

نهضت توني ببطء.

ـ لقد ارتكبت خطأ، وحاولت أن أكلمك قبل الآن. . . لقد كنت غاضبة عليك وأردت أن أثأر منك. هذا كل شيء.

ـ ألأنك سمعت حديثي مع كارين؟

ـ نعم، لقد كانت النافذة مفتوحة، هل يخيل إليك أنك

تملك الحق في التدخل بحياة سيان الخاصة؟

ـ إن زواجه مصلحة عائلية. أجابها بهدوء. وسأفعل كل ما بوسعي لأمنعه.

قررت توني أن تبوح له بالحقيقة حتى ولو خانت عهدها لسيان.... حتى ولو أحتقرها راف أكثر. ولكنها ستنهي الكذب الذي بينهم.

ـ هذا غير مهم، فأنا لم أفكر أبداً بالزواج من أخيك، هذا كله خدعة.

لم تنقبض أية عضلة في وجه راف.

ـ لماذا؟

ـ كان سيان يحتاج إلى سلاح يواجه به أمه وأنت. أنه يعاني كثيراً من نفوذك عليه.

ـ لم أفهم، كيف سيستفيد من خطوبة مزيفة في سبيل تحقيق هدفه.

ـ أنا شخصياً لا أفهم ذلك بالتحديد ولكنه يريد أن يثبت لكما أنه سيد نفسه. وكنا أنا وسيان سنعترف لكما بذلك قريباً.

ـ راف.... إذا كنت تشك بكلامي فأسأل أخاك، كانت توني تتوسل إليه.

ـ لقد شرحت لي أسباب ودوافع سيان، ولكن ما هي دوافعك أنت؟

ـ عضت توني على شفتها، أنها الفرصة الوحيدة كي تكسب ثقته فيجب أن تعترف بكل شيء.

ـ لقد تصرفت بدافع الأنتقام، قالت بصوت منخفض. لقد صرحت بأني ألعب عليك وبأني أفعل المستحيل كي أهينك.

ـ ألانك جُرحت في كبريائك؟

ـ أكثر بكثير..... وتابعت الفتاة، لقد تخيلت أنك كنت تشاركني مشاعري وأصبت الأنهيار عندما أكتشفت أنك كنت تنفذ خطة ليس أكثر.

أرتسمت على وجه راف ابتسامة ساخرة وقال:

ليس هذا هو الواقع كان هدفي في البداية أن أوقعك في الفخ. ولكني مع الوقت بدأت أحاول التخلص من هذه اللعبة وفي الليلة التي قضيناها في السباحة في البحيرة كنت قد قررت أن أبوح لك بكل شيء في الغد، ذلك لأني أدركت أنني كنت مخطئاً بحقك.

وكانت توني تستمع إليه، ودقات قلبها تزداد.

ـ راف، أني لا أختلق مبررات لتصرفي. لم أجد الفرصة كي أثبت لك اخلاصي. وأنت لم تثق بي أبداً. وإذا وثقت بي الآن فيجب أن تصدق بأن «كريغ شانون» كان كاذباً. هل هذا ممكن؟

ـ لا، هذا غير ممكن. ولكني أعتقد بأنك لم تحاولي أغراء كريغ.

ـ إذا فعلت ذلك، فإنه عن غير قصد.

ـ ألم تجديه فاتناً؟

ـ بلى، لكني لم أحاول أبداً أن أقيم معه علاقة حب.

ـ ألأنه متزوج؟

ـ ليس هذا هو السبب الوحيد، يمكن أن يعجبني رجل ولكن دون أن يجذبني إليه.

ثم هزت توني رأسها وقالت:

ـ لن أتمكن أبداً من أقناعك، أليس كذلك؟

ـ كلا، أعتقد أن الكلام لا يكفي.

أقترب منها وجذبها نحوه.

ـ إذا كنت يجدين نفسك مختلفة عن ما أراه، أثبتي لي ذلك.

أحتضنها راف ثم ترك شفتيه تضغطان على شفتيها وكانت توني تتمنى أن تستسلم له، فهي لا تحلم بأكثر من قبلاته..... ولكنها نهضت فجأة وابتعدت عنه قائلة:

ـ راف، لا، لم أتأكد بعد من أنك وثقت بي.

ـ قدمي لي الأثبات. قال لها راف بصوت هادىء.

ـ ولكن كيف؟

ـ ستجدين وسيلة..

أمسك راف وجه الفتاة بين يديه.

ـ أن كل ما أريده هو أن أصدقك، ولكن لو كنت تكذبين علي هذا المساء فأني سأسحقك.

ـ كل ما أخبرتك به حقيقي!

لم تستطع توني أن تنمع نفسها من لفظ كلمات تتسابق على شفتيها.

ـ أني أحبك يا راف.

فنظر إليها طويلاً ثم سألها.

ـ وماذا سيحصل لو أني صدقتك؟

ـ لا أدري، فأنت الذي ستقرر، وإذا أردت فأني سأرحل.

ـ وإذا أردت أن تمكثي.

ـ إذن سأبقى.

فترددت توني قبل أن تتابع ثم قالت له:

ـ لن تستطيع أن تمضي بقية عمرك وأنت تدفع ثمن غلطة ذلك الحادث الذي لست مسؤولاً عن وقوعه.

فعاد راف إلى الأنقباض.

ـ اخرسي، أنت لا تعرفين شيئاً!

ـ لقد أخبرني سيان بكل شيء.

لم تستطع توني أن تتراجع.

ـ أنا أفهم حقيقة مشاعرك، ولكنك قد فعلت كل ما بأستطاعتك لأجلها. ويجب أن تفهم كارين ذلك جيداً.

ـ هل ستستطيعين أن تشرحي لها ذلك؟ قال لها ساخراً.

ـ سيكون ذلك طبعاً. ولكني سأكلمها، نعم، وسأقول لها بأن لا تعتقد بأن أحداً سيتخلى عنها...

ـ هل تظنين حقاً بأن أية أمراة سأتزوج بها ستقبل مثل هذا الوضع؟

ـ هذا صعب، ولكن...

ـ هل تقبليه أنت؟

وهنا شعرت الفتاة وكأن قلبها يقفز من بين أضلاعها.

ـ طالما أني أعرف الوقائع، نعم، كارين ليست شريرة، هي تعذبت كثيراً، ويلزم بعض الصبر لمساعدتها. راف...

ـ هذا ليس طلباً للزواج ـ قاطعها ـ ولكنه أفتراض. فلنعد الآن لمتابعة السهرة.

ـ أتريد أن تبحث عن سيان؟

ـ أنت واثقة من نفسك، أليس كذلك؟

ـ ليس هناك ما يخيفني، أجابت توني.

كان الأحتفال ما يزل في أوجه. وعندما وصلا إلى الحديقة الواقعة خلف المنزل، أخذ راف ينظر إلى المدعوين، بينما توني لم تكن تفكر إلا في أن يأخذها من جديد بين ذراعيه بعد أن يؤكد سيان اعترافاتها...

www.rewity.com

وبعد قليل شاهدا الشاب، وانضما إليه. مد سيان يده خلف عنق توني وهو يتظاهر بالأبتسام، فلقد أحس بالأنقباض ما أن رآها مع راف.

ـ أين كنت؟ لقد بحثت عنك في كل مكان. ثم نظر إلى أخيه وقال له:

ـ يا للمفاجأة.

فجذبت توني يد الشاب وقالت له: إن راف يرغب في محادثتك. لقد أخبرته كل شيء.

وهنا تجمدت نظرات الشاب، وسألها مدعياً عدم الفهم.

ـ ماذا يعرف؟

ـ أنت تعرف جيداً ماذا أعني، حاولت تونى جاهدة أو ان تحتفظ بأعصابها، لقد أخبرته كل الحقيقة.

فبدا على سيان الذهول الكلي.

ـ حسناً، راف لا يوافق على زواجنا، ماذا غير ذلك؟

ـ سيان، توقف عن المزاح! قالت له توني بجفاف، لا تدعي أنك تجهل بأن هذه كانت خدعة.

ـ أنا أجهل ذلك تماماً. لماذا تتصرفين هكذا يا توني؟

لم تصدق توني ما سمعته:

ـ سيان، أرجوك أنا لا استحق أن تكافئني على هذا النحو، قل الحقيقة لراف.

ـ إنها الحقيقة، أنا آسف لأنك غيرت رأيك بالزواج بهذه السرعة.

وهنا أنهارت الفتاة. والتفتت إلى راف تتوسل إليه وتقول:

ـ إنه يكذب!

ـ لقد فهمت الآن لماذا لم تكوني راغبة بأن أعلن الخطوبة

هذا المساء.

ثم تابع سيان قائلاً: كنت أشك بأنك تدبرين مؤامرة في رأسك.

ثم نظر سيان إلى راف وسأله: هل أنت راض الآن.

ـ نعم، والآن سأدعكما تسويان سوء التفاهم الذي بينكما وابتعد راف دون أن ينظر إلى توني.

ـ لماذا فعلت ذلك، سألته توني؟

ـ أنت لن تكوني لراف. في كل الأحوال أني أقدم لك خدمة. ستكونين تعيسة جداً معه.

ـ هذا جنون! كيف تسمح لنفسك أن تقرر ما يناسبني؟

ـ لأني أحبك كثيراً. لا تتركيني . . . . إني أحتاج إليك.

ـ أتعتقد أن راف سيتقبل وجودي، بعد كل ما حصل. إنه متأكد بأني كذبت عليه، مرة واحدة فقط!

ـ لن يجبرك على الرحيل طالما أنا أريدك أن تبقي.

ـ لا، هذا مستحيل الآن.

لم يجرؤ سيان على النظر إلى توني وسرعان ما وقع على الأعشاب، لقد كان سكراناً.

ـ يا إلهي، لا أدري ماذا أصابني. لم أتصرف هكذا من قبل! لست سوى بائس، أتريدين أن ألحق براف؟

جلست توني بقربه. لقد عاد من جديد يطلب معونتها، وهي تشفق عليه.

ـ هذا لن يفيد، سيظن بأني دفعتك للذهاب خلفه. كل ما أريده منك هو أن تصحبني غداً إلى المطار، سأعود إلى انكلترا.

رفع سيان رأسه وأجابها:

ـ حسناً، يا توني، لقد شربت كثيراً، هل تستطيعين أن

تقودي السيارة حتى المنزل؟ وعندما سأصبح قادراً ستسمحين لي بالتحدث إلى راف.

ـ كلا، لقد فات الأوان يا سيان.

ـ أنت تحبينه أليس كذلك؟ سألها سيان، إني آسف على ما سببته لك.

فسألته الفتاة:

ـ هل تستطيع الآن أن تسير؟

ـ نعم، ولكن رأسي يميل...

وهنا أنضم إليهما «مايك كوبر» وانحنى فوق سيان، وسأله قلقاً:

ـ أهناك ما يسير على غير ما يرام؟

ـ لست أدري ماذا وضع «مات» في الكؤوس، أنا سكران تماماً!

ـ لن يجيبك «مات»، أنت بحاجة للمساعدة؟

ـ أسنده قليلاً حتى السيارة، طلبت منه توني، فأنا سأقود السيارة.

ـ جلست توني خلف المقود، بينما كان سيان مغمض العينين ينام على المقعد.

ـ شكراً، قالت الفتاة «لمايك».

ـ إلى اللقاء سنلتقي في المزرعة...

كان سيان نائماً، فركزت توني أهتمامها على الطريق. حاولت ألا تفكر بما سيحصل في المنزل عند عودتهما. لقد سبقهما راف، وقد يكون بانتظارها.

كان المنزل غارقاً في الظلام عندما أوقفت توني السيارة، وحاولت أن توقظ سيان ـ أنا الآن أفضل، قال وهو يخرج

من السيارة. وبعد ليلة جيدة لن يبقى شيء من هذا شكراً لك.

ـ لحسن الحظ كان الباب مفتوحاً، صعدا السلم وسيان يستند على توني فتمنت له ليلة جيدة أمام باب غرفته. ثم اتجهت إلى غرفتها واغلقته وراءها. وتنهدت: لقد كانت السهرة شاقة.

ـ أنت تتساءلين كيف ستتخلصين مني الآن، إنه صوت راف يرتفع في ظلام الغرفة.

- ٩ -

وعندما أعتادت الفتاة على ظلمة الغرفة. لمحت راف يجلس على أحد المقاعد بالقرب من السرير.

- ماذا تفعل هنا؟ سألته توني وكان صوتها يرتجف. إن ما تريد قوله يستطيع الأنتظار حتى الغد!

فأجابها راف بقسوة.

- ستسمعينه الآن، لقد خدعتيني ثانية مع أني حذرتك.

- وتريد أن تعاقبني، هل ستضربني ؟

- لست قاسياً لهذه الدرجة.

نهض راف ووقف أمامها.

- لقد قلت لي بأنك تحبينني، أثبتي لي ذلك وأمضي الليلة معي.

- كلا... صرخت الفتاة. لا تسخر مني. لم أكن أكذب عليك. وسيان مستعد الآن لأخبارك بالحقيقة.

- طبعاً، سيفعل ذلك، فلقد أقنعته بذلك.

- أنتما الأثنان متشابهان - قالت توني بأحتقار. أيها الأخوان.

- نصف الأخوين - صحح لها راف بهدوء. أتعلمين بأن العراك ليس دائماً الوسيلة الوحيدة للدفاع؟ ثم تابع راف، أخلعي

ملابسك! إذا كنت تقولين الحقيقة. وأثبتي لي بأنك تحبينني!

- راف! لن تستطيع أن تثبت شيئاً بهذه الطريقة... ثم تابعت وهي تتوسل إليه، إني أرفض أن أكون أحدى تجاربك!

- حقاً! هذا ما سنراه، واتجه راف نحوها.

توجهت الفتاة نحو الباب محاولة الهرب. ولكن راف أمسك بها من ذراعها وجذبها بقوة إلى السرير.

- لن تهربي أبداً!

- دعني، صرخت الفتاة محاولة التخلص منه، راف أسمعني!

- كي أسمع المزيد من الأكاذيب؟ سألها وهو يمسكها بقسوة. لا تقلقي لن أفعل شيء بدون إرادتك. وأنت ستستسلمي لي بكامل إرادتك!

توقفت توني عن مقاومته محاولة أن تثنيه برودتها معه عن عزمه. وقالت له بأنها تكرهه وتحتقره ولكن مشاعرها خانتها.

قبلها راف بنعومة بالغة، وبدأت حرارة فمه على جسدها تثير عواطفها، خاصة على وجنتيها ورقبتها وأكتافها. ولكنها لم تظهر له أي تأثر.

وبعد قليل رفع راف رأسه. وابتسم ساخراً وقال لها:

- أتريدين أن أتابع يا توني؟ لن تستطيعين الكذب الآن.

جمعت توني كل قواها وأجابته هامسة.

- كلا، راف...

- قولي الآن انك تحبينني، أيتها الماكرة الصغيرة!

- أحبك. وأمسكت وجهه بين يديها ونظرت في عينيه.

- تستطيعين أن تتمني ما تشائين ولكنك لن تغيري شيئاً، أسألي سيان فهو سيقول لك الحقيقة ثم تردد راف وفجأة قال لها

وهو يتأمل سقف الغرفة:

ـ لقد جعلتني مجنوناً، أعترف لها أخيراً، لم أعد أدري شيئاً!

ـ أما أنا فبلى ـ أعرف أن الحب هو تجربة رائعة، ولكنك تفعل كل ما تستطيعه كي تجعلني أكرهك...

ـ ولماذا لا تكرهينني؟

ـ لأنني لا أستطيع إلا أن أحبك، ألا تفهم ذلك؟

ـ أنت قاسي جداً. لا تثق بي أبداً. وتفضل أن تستمع إلى كل ما يقال لك عني دون أن تحاول أن تصدقني.

صمتُ راف أغضبها جداً، فصرخت بوجهه.

ـ إذهب إلى الجحيم!

ـ أمسكها راف عندما حاولت النهوض، وضمها إلى صدره وقبلها بحرارة وعندما تركها كانت توني قد هدأت.

ـ لو أني أستطيع أن أحتقرك.

ـ أخي ليس إلا أحمقاً، لماذا يتصرف على هذا الشكل؟

ـ إنه يغار منك، ليس بسببي فقط، أنت المسؤول عن ردات فعله. فأنت لا تساعده، وأنت تسعد مع أمه في أهانته.

نظر راف إلى وجه الفتاة ثم ابتسم وقال لها:

ـ أنتما لم تكونا عاشقين مثاليين....

ـ آه، أرجوك، أوقف هذه المهزلة! وأخذت تلمس شفتيه بيدها. وتابعت قائلة: راف أرجوك، دع سيان بسلام. أنه خجل جداً من نفسه.

ـ إنه يستحق الدرس.

تأملت توني راف ثم قالت:

ـ لا تبدو لي مقتنعاً تماماً. أليس كذلك؟ لقد أحسن كريغ

شانون عمله.

ـ ماذا سيحصل لو أنك التقيتي من جديد بعائلة آل «شانون»؟ هل ستقولين الحقيقة لـ «دايان»؟

ـ لا، فهذا لم يعد ضرورياً. وستفهم هي عاجلاً أم آجلاً حقيقة زوجها.

ـ أعتقد أنها كانت لديها بعض الشكوك، فكريغ ضعيف أمام النساء.

ـ ولماذا اتهمتني إذن؟

ـ لأنني أعتقد رغم كل شيء أنك أنت التي أغريته، عن قصد أن عن غير قصد.

وأتخيل أنه ليس الوحيد الذي قرأ أو أعتقد نفسه يقرأ في عينيك الخضراوين الرائعتين دعوة...

ـ بماذا سأجيبك؟ تنهدت توني.

أن قرب راف منها كان يثيرها من الأعماق. وكل لحظة يجذبها لتصبح من تحته أكثر حتى أنها أصبحت غير قادرة على القيام بأي شيء ولا حتى على اتخاذ أي قرار، مهما كان نوعه...

عاد راف بضغط عليها أكثر محاولاً منعها من الهرب.

ـ ألا تفكرين بالرحيل!

ـ راف؛ أنا لا أحكم على هذا الوضع. كل ما أريده هو أن تسير الأمور بيننا بشكل مختلف...

ـ أتريدين أن أعترف لك بحبي؟ سألها بوقاحة، ولكن سيكون هذا مجرد كلام!

ـ ليس بالنسبة لي. وبالنسبة لك أيضاً. أنا أكيدة فقط لو أنك تقبل أن تعترف لنفسك بهذه المشاعر!

تفحص راف الفتاة بتمعن. ثم عاد إلى الكلام وكانت نبرة صوته مختلفة.

ـ ماذا حدثك سيان عن كارين؟

ـ أخبرني بأنها تقع مريضة كل مرة تقدم لها إحدى صديقاتك. هل ستقف في وجهها إذا التقيت بأمرأة تعجب بها حقاً؟

ـ لا أدري. هذا السؤال لم يطرح من قبل. وأخذ يفكر دون أن يرفع نظراته عن وجه توني.

ـ عندما علمت بشلل كارين، وعدتها بأنني سأهتم بها دوماً. بغض النظر عن كوني المسؤول عن الحادث أم لا. لقد كنت أنا خلف المقود.

ـ مساعدة كارين لا تتطلب بالضرورة أن تضحي بحياتك.

ـ لم أكن واعياً تماماً، كنت في التاسعة عشرة من عمري. وكان من الصعب رؤية المستقبل.

ـ على كل، لست المسؤول عن ذلك، ولك الحق بأن تعيش حياتك بسلام.

أخذ راف يلمس بيده خد توني بحنان. وهمس مبتسماً.

ـ أن أعيش حياتي معك؟

بدأ قلب توني يدق بقوة فأجابته.

ـ إذا رغبت في ذلك، ولكني اتمنى أن تمنحني ثقتك أولاً. فأنت لا تزال تشك بي اليس كذلك؟

ـ بعض الشيء، نعم. أعترف لها راف.

فجأة ابتعد عنها وجلس على السرير وقال:

ـ معك حق، أنا أيضاً أريد أن تكون علاقتنا واضحة. أنا بحاجة للتفكير.

ـ لا تسيء معاملة سيان، قالت له وهو يتجه نحو الباب. لقد كان شارباً.

ـ سأحاول. إلى اللقاء غداً. وتذكري لا يزال الوقت مناسباً كي تعودي عن قرارك.

ـ مستحيل، قالت له وهي تهز رأسها.

خرج راف، وبقيت توني في مكانها جالسة في الظلام. لماذا لم تلتقي بأنسان بسيط يحبها بدون شروط؟ وكانت توني تدرك أن راف هو الأنسان الوحيد التي بأمكانها الأعتماد عليه. هل ستتمكن من الأبتعاد عنه إذا وجب الأمر؟ واستطاعت توني أن تنام بعد أن أنقضى معظم الليل.

وعندما استيقظت كانت الشمس مرتفعة في السماء. وشاهدت من النافذة سيان عند حوض السباحة. وعندما انضمت إليه إبتسم لها وسألها:

ـ صباح الخير. هل تناولت الفطور؟

ـ لست جائعة، شكراً. كل ما أحتاجه هو أن أغطس في الماء كي تتوضح أفكاري!

ـ هل تريدين فنجانا من القهوة بعد السباحة؟

ـ بكل سرور!

سبحت توني طويلاً، كانت حركاتها المنتظمة تدل على أن فكرها مشغول جداً. كانت تنتظر اللحظة التي سترى فيها راف من جديد. لقد كان مزاجه مختلفاً.

أيكون قد اتخذ بعد التفكير قراراً بأن لا يبلبل حياته فقط من أجل توني. وأمام هذه الفكرة انتابها قلق مخيف.

وعندما صعدت من الحوض، قدم لها سيان فنجان القهوة فجلست على الكرسي الطويل ورشفت قهوتها الساخنة.

ـ لقد ذهب راف مع والدتي لزيارة أحد الأصدقاء. قال سيان. ولن يعودا قبل العصر.

بقيت توني صامتة، ولم تكن تدري كيف تبدأ بالموضوع الذي يشغلها.

وأخيراً قررت الكلام بدون لف ولا دوران.

ـ هل سألك راف هذا الصباح؟

ـ عن الليلة الماضية. أجابها الشاب بحزن.

ـ لقد وجه لي فقط بعض الملاحظات حول مخاطر الشرب. حاولت أن أشرح له لكنه لم يسمعني، قال بأن هذا لا يهم.

وهنا انقبض قلب الفتاة، وقالت:

ـ هذا واضح، على الأقل.

ـ توني، أني آسف، قال لها متألماً، سأفعل أي شيء كي أصلح ما أفسدته.

لم أكن أدري حقاً ما هي حقيقة مشاعرك تجاه راف، لقد تصرفت بأنانية. لقد كنا أحسن قبل أن يأتي ويفرق بيننا.

ـ نعم، ولكنها كانت علاقة صداقة ليس إلا. قالت له توني.

ـ لقد قبّلتك.

ـ مرة واحدة، وذلك لأني كنت بحاجة للمؤاساة. سيان، نحن نشعر بالتعاطف نحو بعضنا ليس أكثر، وأنت تعرف ذلك.

ـ عليك أن توضح لي الآن لماذا رؤية أخيك مع «أندري» لم تعجبك؟

ـ راف يكبرها بكثير، هذا كل شيء. ليست سوى طفلة.

ـ ألا تعتبرها راشدة وهي في سن العشرين؟

فكر سيان قليلاً ثم سألها:

ـ أتعتقدين أنها تحبه.

ـ لا، ولا هو يحبها أيضاً. وهما يعرفان ذلك. وإلا فلماذا لا يخرجان دائماً سوياً؟

ـ معك حق، أعتقد أنني...

ـ غيور؟ أجابته توني بلطف. ليس لديك سبب آخر. لقد فهمت أنها مهمة جداً بالنسبة لك. ألم تلاحظ تعابير وجهها عندما علمت بنبأ خطوبتنا؟

ـ كلا... أجابها الشاب وهو يفكر. هل أنت متأكدة مما قلتيه؟

بدأت توني بالضحك ثم قالت:

ـ سيان، أنت لا تعرف مدى تأثيرك على الفتيات. كما أنك لم ترى العاشقتين اللتين كانتا تتبعانك طيلة السهرة أمس؟

ـ لم يبقى إذن إلا أنا...

ـ أصمت، صرخت به الفتاة. فلتكن لديك بعض الثقة بنفسك! لم أظنك تخاف لهذه الدرجة.

ـ معك لا أشعر بالخوف أبداً، وأنت يسهل الحديث معك. في الحقيقة، أنا لم أقف في وجه راف كي أؤثر عليك. كما أنه لا أحد يملي علي ما أفعل، تابع سيان بنفور.

ـ حسناً، ولكن لا يكفي أن تكون غير خاضعاً للغير، يجب أن تتعلم كيف تصبح مستقلاً. وأن تعتمد على وسائلك الخاصة. وإذا رفضت كارين مساعدتك، جد لك عملاً آخر، قاوم في سبيل حريتك من جديد!

ـ نعم، سأفكر بذلك بشكل جدي، قال الشاب بحزم، وأنت، يا توني؟ ما هي مشاريعك؟ سيكون صعباً على أن أشرح

لأمي أسباب رحيلك السريع . . .

ـ ستعترف لها بالحقيقة .

ـ سأبدو أمامها سخيفاً جداً .

ـ على العكس إذا رويت لها القصة بصراحة . ستفهم بعض ما كانت تجهله .

لم يبدو على سيان أنه اقتنع تماماً .

ـ على الأقل، سيسمع أخي القصة بأذنيه، سأفعل ذلك من أجلك .

فكرت توني هل سيصدق راف ذلك . ثم سألت سيان .

ـ هل تقلع طائرة اليوم إلى لندن؟

ـ لا أعرف، يجب أن أتصل بأحدى وكالات الطيران . . .

توني لا يمكنك الرحيل هكذا! وراف؟

ـ لا أرى مشكلة في ذلك، أجابت توني متظاهرة بعدم الأهتمام، أنه لن يثق بي أبداً، هذا واضح .

ـ بسبب «كريغ شانون» أتمنى أن أعاقب هذا الرجل بالقصاص الذي يستحقه .

لم تتمالك توني نفسها من الضحك .

ـ هذا لن يخدمنا بشيء . وشكراً لك يا سيان .

ـ لكن راف غبي وأحمق .

ـ في هذه الحالة ليس لي إلا أن أعتمد على نفسي، لا تقلق يا سيان، سأكون أحسن حالاً . ساعدني فقط بالرحيل من هنا .

ـ سأرى ما يمكنني أن أفعل . أنتظريني هنا، قال الشاب وهو ينهض .

ومن خلال زجاج الصالون لمحته توني يرفع سماعة الهاتف، إنها

تفكر برحيلها إلى نكلترا وهي تتألم . عليها أن تجد شقة وعملاً بسرعة . وبعد عدة أسابيع لن تكون كل هذه المتاعب سوى مجرد حلم مزعج . ومن يعرف حتى لو أنها لم تلتقي رجلاً يعجبها؟

وفي قرارة نفسها كانت تدرك أن إقامتها في كندا ستترك فيها جرحاً عميقاً لن يبرأ .

عاد سيان بعد قليل .

ـ لن يمكنك السفر إلى لندن قبل يوم الأربعاء . ففي هذه الفترة من السنة كل الطائرات تكون مليئة .

ـ وعن طريق «تورانتو» أو «مونتريال»؟

ـ لم أسأل عن هذا، لكن قد لا تجدين مكاناً أيضاً .

ـ لا بأس إذا لم تكن هناك وسيلة أخرى .

ـ أنت عنيدة .

بعد دقائق عاد سيان وأخبرها بأنه ستقلع طائرة إلى لندن من مطار «مونتريال» بعد الظهر .

قبلت توني فهي تتشوق للأبتعاد عن كالغاري بأقصى سرعة .

ـ سأصعد وأحزم حقائبي .

ـ سأصحبك إلى المطار كوني جاهزة بعد ساعة . وبدا عليه أنه يريد أن يضيف شيئاً آخر، لكنه عاد وهزّ كتفيه .

عندما وصلت توني إلى غرفتها، أستحمت وارتدت ملابس تناسب سفرة طويلة، وجمعت أغراضها بسرعة . وعندما خرجت من الغرفة أجتاحها حزن شديد . ستكون قد ذهبت عند عودة راف .

أحضر سيان وجبة خفيفة، وأجبرت توني نفسها على ابتلاع بعض الطعام كي تسعد سيان . . . وأخيراً اتجها نحو المطار .

وفي السيارة، بقي سيان صامتاً، والفتاة لم تكن راغبة في الحديث. كل شيء سيكون أفضل عندما تصل إلى الطائرة... وحاولت أن لا تبدو يائسة.

أوقف سيان سيارته في المرآب، ووضع حقائب توني في أحد العربات الخاصة لنقل الحقائب.

- أفضل أن يكون الوداع هنا، قالت له توني وهي تبتسم.

- أعذريني يا توني، لم يكن علي أن أصحبك إلى منزلي، لقد كنت طفلاً أنانياً.

- كان علي أنا أن لا آتي. كل هذا لا يهم يا سيان. من الآن عليك أن تقاوم من أجل الحصول على ما تريد.

استدارت توني مسرعة واختفت خلف أبواب المطار. ودخلت إلى مكتب شركة الطيران.

وفي غرفة الأنتظار جلست تنتظر الأعلان عن رحلتها، واتكأت على المقعد وأغمضت عينيها. ارتفع صوت المذياع ليعلن أن رحلتها ستتأخر ساعة. لا يهم، قالت في نفسها، ستصل لاحقاً إلى انكلترا، حيث ستعاود حياتها. وهذه الفكرة أخافتها.... لقد قررت أن تقاوم بشجاعة.

فتحت عينيها عندما أحست أن أحداً يجلس قربها، ودون أن تلتفت أبتعدت قليلاً بتهذيب كي يتسع المكان لهما.

- لن تسافري في هذه الطائرة. قال صوت راف. لقد استعدت حقائبك.

بقيت توني مندهشة، وفكرت بأنه لو كان يريدها أن تبقى لما كان ترك البيت هذا الصباح، وأخيراً سألته:

- لماذا؟

- كنت أعتقد أن حديثنا في الليلة الماضية أوضح كثيراً من

الأمور...

- كلا، لقد افهمتني فقط أنك تحتاج إلى التفكير، على العكس فإن غيابك صباح اليوم بدا لي واضحاً!

- لقد أضطررت لأصطحاب كارين لزيارة أحد الأصدقاء، ولم أكن أعتقد بأنك ستتصرفين على هذا النحو! وما أن أخبرني سيان برحيلك حتى أسرعت فوراً إلى المطار. ثم نظر حوله وأضاف، مستحيل أن نتكلم هنا بهدوء، تعالي سنكون في السيارة مرتاحين أكثر.

لم تتحرك توني من مكانها.

- إلى أين سنذهب.

- سنعود طبعاً!

- وسأبقى دائماً خطيبة سيان؟ لقد أنتهت اللعبة، راف. لن أكذب على زوجة أبيك أبداً.

- لقد أخبرت كارين بكل القصة. ولم يكن أمامها إلا القبول بالواقع.

- وماذا قلت لها؟

- قلت لها بأنك لن تعودي من أجل سيان، ولكن من أجلي أنا.

مد راف يديه لها كي يجبرها على القيام. فلم تقاومه توني. وهكذا فإن عودتها لا تنبيء بشيء حسن... لن يثق بها ولو بقيت معه أسبوع أو أكثر. ولن تجني من العودة معه إلا جرحاً عميقاً آخر.

وفي السيارة بقي راف صامتاً، وبعد قليل أوقف السيارة على حافة الطريق والتفت نحو توني.

- هل كنت جادة عندما أعلنت بأنك تقبلين كارين بنفس

الوقت كما تقبليني؟

ـ لماذا؟،

ـ توني، هل تقبلين الزواج بي؟

لشدة دهشتها أحست أن قلبها توقف في صدرها فهي لم تكن مستعدة بعد. . .

ـ قولي شيئاً. قال راف وقد نفذ صبره.

ـ أنا لا أفهم، ففي هذا الصباح رفضت أنت الأستماع إلى سيان. . .

ـ هذا غير صحيح. لقد شرحت له فقط بأن ذلك لا يهم. وأنا واثق بك منذ اليوم.

ـ هل أقتنعت إذن بأن «كريغ شانون» كان يكذب؟

ـ نعم. كنت أعتقد بأنك لن تتمكني من الصمود معه.

ـ هذا ممكن. ولكني كنت في موقف حرج. . . . لقدكان رئيسي!

ـ لقد كان. نعم، كل هذا أصبح من الماضي الآن. وأمسك راف الفتاة من كتفيها وجذبها نحوه. وقرب وجهه من وجهها.

ـ توني. إني بحاجة إليك. لا تتخلي عني. . .

لو أنه يعترف فقط بحبه لها. ولكن توني طردت هذه الفكرة التي تنغص عليها فرحتها. فإن راف يتمنى أن يعيش معها. ومع الوقت ستجعله يحبها أكثر. . . . نعم ستحارب في سبيل ذلك!

والتقت الشفاه، وبقيت توني صامتة. وعندما عانقها كانت الرغبة واضحة في عينيه.

ـ أنت جميلة جداً، همس راف. وأنت تبدين أحياناً بريئة وساذجة. . . .

فهمت توني أنها لم تحظى بكامل ثقته. «ولكن يكفيها أنهما معاً».

ـ هل شرحت لكارين لماذا جئت تبحث عني.

ـ نعم، كان يجب علي ذلك. ذا يمنحها بعض الوقت لتعتاد على الفكرة.

ـ كنت متأكدة من جوابي إذن.

ـ كنت أعرف بأني سأفعل المستحيل كي أقنعك بالعودة معي، أجابها مبتسماً.

فأنا لم أكن أحلم بإمرأة تكون بالقرب مني ليلاً، لها مثل شعرك المسترسل على الأذنين، وأشياء أخرى كثيرة. . .

ـ أنت لا تجهل بأنني كنت سأستسلم لك لو أنك بقيت لمدة أطول.

ـ هذا لا يكفيني! ستكونين كلك لي، وستكونين لي وحدي.

ـ لن أخونك يا راف، هل ستصدقني، سأثبت لك حبي.

ـ على شرط أن أعرف ما تعنيه أنت من كلمة «حب». وأفضل الآن أن أثق أكثر من مشاعري. وهم أن يقبلها مرة أخرى لكنه غير رأيه فجأة.

ـ هيا بنا فلنعد.

ـ فهمت توني إلى ماذا كان يلمح. كارين هي مسؤولية راف. . . كيف ستتقبل الوضع الجديد؟.

ـ من هو مالك المنزل؟ سألته توني.

ـ كنت أنتظر منك هذا السؤال. كارين تملك حق الأنتفاع به. لكنها لا تستطيع بيعه دون موافقتي.

ـ ولكنها باستطاعتها أن تطردك منه.

ـ نعم لها الحق في ذلك، وعندئذٍ سنذهب ونعيش في سير واتر.

ـ أفرض أن سيان رحل أيضاً، فستبقى عندئذٍ وحيدة...

ـ نعم وحيدة مع «أيفا».

ـ سوف نرى، ألا تتمنين لو أني لم أكن مسؤولاً عن الحادث؟ وبأن لا أقضي ما تبقى من عمري بالتضحية؟

ـ نعم، أكدت له توني. واليوم سيتحدث مع كارين ويقنعها بأن شيئاً لن يتغير. ولكن كيف ستشرح له بأنه حر في أن يعيش كما يريد أون يحب من يريد؟

ـ ١٠ ـ

وعندما دخلا إلى المنزل. كان سيان ينزل الدرج، فتوقف عندما شاهدها وبدت على وجهه ملامح حاول أن يخفيها سريعاً.

ـ أني سعيد لأنك وصلت في الوقت المناسب، يا راف.

ـ أين والدتك. سأله راف.

ـ في غرفتها مع الطبيب، ثم تابع، لقد أصيبت بوعكة فور ذهابك.

أصبح راف شاحباً جداً. بالضبط كما حصل في المرات السابقة.... هذه المرة فقط، لن يستسلم. هذا مستحيل...

ـ سأكون في الصالون، قال بصوت كئيب. أنا بحاجة إلى شرب كأس أعلمني عندما ينتهي الطبيب.

لم تجرؤ توني على اللحاق به. ونظرت إلى الباب يغلق خلفه.

ـ هل هذا خطير. سألت توني سيان.

ـ لست أدري. لقد فقدت وعيها....

ـ حقاً.

ترددت توني. ولكن السؤال يلهب شفتيها.

ـ أتظنها تتظاهر بالمرض؟

ـ كلا. لقد كانت شاحبة كالأموات عندما رفعتها بين ذراعي.

ـ أتعتقد أن ذهاب راف إلى المطار هو السبب؟.

ـ لا، ليس هو السبب الوحيد. أجابها سيان والأنهاك بادياً عليه.

ثم أضاف، لقد أتهمتني كارين بأني المسؤول عن كل شيء. لأنني أنا الذي أصطحبك إلى هنا. ففقدت رشدي. وهددتها بأني سأرحل أنا أيضاً وسينتهي الأمر بها للبقاء وحيدة. وهكذا أنهارت أعصابها. إنها غلطتي أنا!

ـ كلا. أن كان هناك من مذنب فسأكون أنا المذنبة، لأنني أنا نصحتك بأن لا تستسلم أمامها. أنا السبب.

ثم توقفت توني عن الكلام بعد أن شاهدت شخصاً ينزل السلالم.

ـ هل هذا هو الطبيب؟

لم يتسنى لسيان الإجابة.

ـ هل عاد أخوك، أريد أن أكلمكما أنتما الأثنين.

ـ نعم، إنه في الصالون. أتبعني أرجوك.

بعد دقائق أنضم سيان إلى توني قرب حوض السباحة وقال لها:

ـ راف يطلبك.

وعندما دخلت الفتاة إلى الغرفة، كان راف واقفاً أمام النافذة. التفت نحوها ووجهه مكفهراً.

ـ لقد كنت أحمقاً عندما أعتقدت بأنها ستوافق. وأنا مضطر لأن أدعك تسافرين على متن هذه الطائرة، قال لها والحزن بادياً عليه.

ـ ما هو تشخيص الطبيب. سألته توني وصوتها يرتجف.

ـ هذا لا يهم. أن عوارض المرض حقيقية.

تنفست توني بعمق، وبانت مستعدة للقتال.

ـ منذ ساعة فقط كنت تطلب مني أن اتزوجك. واعتقد أنه من حقي معرفة السبب الذي دفعك لتغيير رأيك. ما هو نوع المرض الذي تعاني منه زوجة أبيك ويضطرها للإنفعال بهذا الشكل؟

ـ أنه مرض نفسي. هذا بديهي، ولن يغير شيء. على العكس. أن قوة اللاوعي تكون أحياناً قوية ولا تقهر. خاصة عندما يرفض المريض أن يتجاوب.

ـ لكن باستطاعتك على الأقل أن تحاول! وكارين عليها أن تفهم أنه من حقك أنت وسيان أن تعيشا حياتكما. إنها بحاجة لأن تعرف بأنها لن تصبح وحيدة. . . .

ـ أتعتقدين أن الكلمات تكفي؟

ـ راف، أرجوك دعني أكلمها، نحن لم يتسنى لنا أن نتعرف على بعضنا كما يجب، فقط لو أستطيع أن أشرح لها ماذا جرى مع سيان. . .

ـ كلا، وكانت لهجته تمنعها من الرد.

ـ سأهتم بتأمين مكان لك على متن طائرة الغد. لا تقلقي.

كيف يمكنه أن يتحمل بهذا الشكل، بينما مستقبله كله يتوقف على هذا اللحظة؟

لقد ربحت كارين، فكرت توني بمرارة، وراف مستعد للتضحية بكل شيء من أجلها.

ـ ولكنك لن تقدم لها خدمة بتصرفك على هذا النحو، قالت توني في محاولة أخيرة.

ـ هذا لن يفيد، توني. فلننسى. . .

ـ بالنسبة لك، أنا لا أشك بذلك!

وفجأة أصبح عذاب توني لا يحتمل. لماذا يضع راف نهاية لكل آمالها بهذا الشكل الخالي من الرحمة؟ ثم تابعت:

- بكل تأكيد، بغض النظر عن حالة كارين، لم أكن سوى أداة تسلية بالنسبة لك! بماذا كنت أختلف عن الأخريات؟ وهنا تقطع صوتها وأضافت متوسلة:

- راف أني أحبك. ألا يعني هذا لك شيئاً؟

- نعم، هذا ممكن لو أني اقتنعت بصدقك تماماً. أجابها بقسوة.

ستجدين شخصاً آخر، وسيكون بدون شك قادراً على إسعادك أكثر مني.

نظرت إليه توني والألم يعصرها.

- معك حق. لم يكن عليك أن تأتي إلى المطار... لماذا منعتني من السفر؟

- أدركت فيما بعد أنني ارتكبت غلطة. والآن ينتهي النقاش بيننا أذهبي إلى غرفتك.

«أعود إلى غرفتي..... سيبقى قلبي هنا إلى الأبد» فكرت توني وهي تحس بالألم العميق. ولكن لن يفيدها العناد. على كل، حبهما كان مكتوباً له الفشل منذ البداية.... وبدون أية كلمة، غادرت الصالون. وعادت إلى غرفتها ووقفت على شرفتها. وكانت تشاهد المناظر التي تمتد أمامها، وتحس بالحزن لأنها قريباً ستغادر هذا البلد الذي أحبته إلى الأبد.

كانت الطرقات خفيفة على الباب ففهمت أنها ليست طرقات راف. أنه سيان، كان يقف أمام الباب يحمل حقائب توني.

- أعتقد أنك ستحتاجين إليها....

- نعم، لهذه الليلة فقط. سأرحل صباح الغد.

- أنا آسف. قال سيان، ولكني لم أشك بأن راف سيتصرف كذلك.

- ماذا قال الطبيب؟

- لقد اقترح أن تتابع العلاج في مصح للأمراض النفسانية. ولكن راف رفض أن يستمع إله. أنه يفضل الحل الأحمق الذي يراه. أضاف الشاب بنبرة أشفاق.

- آه، هذا لا يهم. أجابت توني وهزت كتفيها، والآن وقد اتخذ قراره، لن يثنيه شيء عن عزمه. إلا أمك هذا ممكن. وأنا أعتقد بأنه لن يتبع تعاليم الطبيب.

- لكن أمي تحتاج إلى المعالجة.

- إنها محقة بخوفها من المستقبل، قالت توني. أنت لم تتكلم معها أبداً حول هذا الموضوع أليس كذلك. لقد تركتها تخاف من الذي سيحصل لو أن أولادها تركوها!.

- معك حق، أجابها سيان، أنا لم أفكر بذلك من قبل.

وهنا خطرت للفتاة فكرة «أن كارين هي الوحيدة التي تستطيع أن تجعل راف يغير رأيه»....

- سيان، هل بأمكانك أن تؤدي لي خدمة؟ سألته توني.

- بالتأكيد، إذا كنت أستطيع ذلك.

- إذهب إلى أمك وقل لها بأني أريد أن أتحدث إليها.

- لا أعتقد أن هذا....

- كن واثقاً أرجوك. أنا لن أزعجها. أريد فقط أن أبين لها بأن كل هذه الظواهر مغلوطة.

بعد لحظات من التردد، وافق سيان.

- حسناً. لكني لا أعدك بشيء....

وبانتظار عودة سيان، حاولت توني أن تهيء نفسها. فإذا وافقت كارين على مقابلتها، فعليها أن تتكل على نفسها وعلى غريزتها لإيجاد الكلمات التي يمكن لها أن تعيد راف عن قراره. على كل، أنها تحاول المستحيل. وعندما شاهدا وجه سيان، فهمت أن لا أمل في ذلك.

- منعتني «إيفا» من الدخول إليها. لقد تناولت أمي بعض المهدئات، ولا يجب أزعاجها لأي ظرف كان. أنا آسف يا توني.

أحنت الفتاة رأسها وقالت:

- لقد كانت الفكرة غبية من الأساس، ثم ابتسمت وتابعت، هل بأمكانك أن تأتيني بكوب من الشاي؟ أكاد أموت من العطش.

- بالتأكيد.

وعندما لاحظت توني القلق على وجه الشاب قالت له:

- لا تحزن يا سيان، كل شيء سيسير على ما يرام.

بدت فترة بعد الظهر لن تنتهي أبداً. ولم تستطع أن تتناول الطعام عندما أحضره إليها. لقد كانت بائسة، ومتشوقة كي تحس بذراعي راف حولها، وكي تسمع صوته يهمس في أذنها، وأن يعانقها. فهي قد تلتقي برجال آخرين، ولكن لن يستطيع أحد أن يحل مكان راف في قلبها. وهذه الفكرة كانت تمزق قلبها.

- قبل قليل من موعد العشاء. لم تعد تستطيع توني أن تبقى وحيدة في غرفتها. فنزلت إلى الصالون. ولاحظت من خلال زجاج النافذة أن هناك غيوماً تتجمع في السماء، فتذكرت تلك الليلة التي كانت تنذر بالعاصفة في بحيرة الذهب، عندما قال لها راف أن مستقبلهما بين يديه، وعندما أكتشف بسرعة أنها

أحبته. والآن ستعود هي إلى انكلترا وسيبقى قلبها هنا مع راف.

بهذه اللحظات دخل راف إلى الغرفة. ولم يقل شيئاً عندما رأى الفتاة. وبعد أن سكب لنفسه كأساً، جلس على مقعد قريب من المقعد الذي تجلس عليه الفتاة.

- لقد حجزت لك مكاناً على الطائرة المتجهة غداً إلى «تورنتو» ومكاناً آخر إلى لندن بعد غد، كما أني حجزت لك غرفة في فندق قريب من مطار «تورنتو».

- شكراً، قالت له توني بصوت ضعيف.

وبقي الأثنان صامتين، واستمر راف بالنظر إلى النافذة وكان وجهه غامض التلاميح. وكانت توني تنظر إليه خلسة، تحاول أن تقاوم كي لا ترمي نفسها بين ذراعيه، وأخيراً سألته:

- كيف ستكون حياتك في الحاضر.

- ستكون كما كانت عليه سابقاً. أجابها بهدوء.

- هل ستستمر في مصاحبة النساء دون أن تجرؤ على أصطحابهن الى منزلك؟ ثم تابعت دون أن تترك له مجالاً للرد، أنا مستعدة للقبول بهذا الوضع، إن لم يكن هناك حلول أخرى.

- أما أنا فلا. ونظر إليها بقسوة، وأضاف: لا تلحي كثيراً يا توني.

- لكن أي شيء آخر سيكون أفضل من الفراق! ألحت عليه وني يائسة.

- هذا ليس رأيي، قاطعها راف. هكذا أفضل، فإني أرى بأننا سنفشل في علاقتنا بدون شك.

- ولكن لماذا؟

- وما نفع النقاش؟ سترحلين شئت أم أبيت.

وهنا أحست توني بالكبرياء من جديد، فأجابته قائلة:

- لا تقلق، فأنت لن تصطحبني بالقوة إلى المطار.

أثناء العشاء ظل الصمت مخيماً، وعندما أبتلع راف آخر لقمة في عشائه، نهض وقال لتوني.

- سأقوم بجولة على الحصان، هل تريدين مرافقتي.

قاومت توني كثيراً تجاه هذا العرض. وجودها وحدها مع راف سيزيد من عذابها. فأجابته:

- لا، شكراً.

وعندما خرج راف من الغرفة، قال لها سيان بأسى:

- سأغادر هذا المنزل بعد رحيلك، قررت أن أتبع نصائحك وأن أبحث لي عن عمل.

- لكن وأمك؟ سألته توني.

- إنه راف الذي تخشى أن تفقده. وكانت ستوافق على زواجنا لو لم يتدخل راف!

- أنت مخطىء، أكدت له توني، لقد كانت تدعي موافقها على ذلك، لكنها كانت هي وراف يحاولان المستحيل لأبعادك عني. ولم يكن وجود راف مع «أندري» في العيد صدفة. وأندري ليست على علم بشيء - أضافت بسرعة - لقد كانا يستخدمانها كطعم فقط.

عندما سمع سيان قولها غضب كثيراً وقال:

- ليس لهما الحق استغلال براءتها!

- كلا، ولكن على العكس. كانا محقان بأنها تناسبك أكثر مني. إنها فاتنة يا سيان!

- أعلم، لو أقترب فقط منها..... وكان كلامه يحمل معنى التهديد.

في هذا الوقت فتح الباب ودخلت الآنسة «إيفا». وبادرها

سيان بالسؤال قلقاً:

- ماذا هنالك؟

- السيدة ستوارت ترغب في رؤية الآنسة «برادبوري».

بعد كل هذا الوقت عاد الأمل من جديد إلى توني. ولكن قد تكون السيدة ستوارت تريد فقط أن تتذوق مطعم نجاحها في بسط نفوذها.... نعم لقد نجحت.

- توني، سألها سيان بلطف، أليس هذا ما كنت تريدنه؟

- نعم.... وابتسمت للشاب. وقالت في نفسها:

فإن كانت السيدة «ستوارت» تريد أن تحتفل بانتصارها فلماذا لا أمنحها هذه السعادة؟ فهي لم تحصل من هذه الحياة على الكثير من الفرح....

- سأتبعك. قالت توني «لإيفا».

وأصطحبتها الفتاة نحو غرفة «كارين». فسألتها توني وهما تصعدان الدرج.

- منذ متى تهتمين بالسيدة ستوارت؟

- منذ ثلاثة أعوام.

- أتعتقدين أنها بحاجة لمعالجة مستمرة في المنزل؟

- من الناحية الطبية لا، إنني مجرد رفيقة لها، ونحن متفاهمتان. إني أفهم السيدة جيداً. وكانت «أيفا» تتكلم بخجل.

وعندما وصلا إلى جناح السيدة كارين. توقفت «أيفا» للحظة ويدها على مسكة الباب.

- قبل أن تدخلي، أريدك أن تعلمي بأني سأغادر هذا المنزل بعد شهرين فإن عائلتي أبلغتني بأن والدي مريض...

- وأنا سأذهب أيضاً في الغد، أجابت توني.

ـ أعلم. وترددت «إيفا» قليلاً ثم تابعت. لا يجب أن ترحلي. إذا استسلم راف هذا المرة أيضاً لزوجة أبيه، لن يخدمها بذلك أبداً. كما أنه يحق له أن يعيش حياته كما يريد.

ـ بعد الذي حصل، أني أخشى أن لا تقبل هذه الفكرة أبداً.

ـ ستتقبلها بسرعة. فإذا حصل شيء «لراف» فإنها ستبقى وحيدة.

ـ ولكن لديها سيان...

ـ أنه لا يبالي إلا بالقليل من الحنان الذي تمنحه له. هذا بالإضافة إلى أن هذه العائلة بحاجة لأطفال صغار....

هنا أحست توني بقلبها ينبض بسرعة ثم أجابت.

في هذا الظرف الحاضر، راف هو الوحيد الذي عليه أن يتصرف بحزم، ولكنه يرفض.

ـ كلا، ليس هو صاحب القرار، إنك أنت. لا أعتقد أن كارين طلبتك فقط لتظهر تفوقها عليك، لقد بدت لي منهكة. قد تكون استطاعت أن تتفهم الحقيقة أخيراً. يجب عليك أن تكلميها.

ـ إيفا .... كيف علمت أنني الوحيدة القادرة على مساعدتها.

ـ إحساس فقط. أجابتها إيفا. أنت تتمنين السعادة للجميع هنا.

لم تقتنع توني تماماً. فإن راف أكد لها بأنه لم يعد يريدها.

فتحت «إيفا» الباب، فرأت توني غرفة واسعة يدخلها الضوء من النوافذ العالية. وكانت كارين جالسة على السرير

ووراء ظهرها عدة وسائد وكرسيها المتحرك قريباً منها.

ـ دعينا لوحدنا يا «إيفا» شكراً لك.

بقيت توني واقفة بعد أن خرجت الممرضة. ولاحظت بأن وجه كارين شاحب جداً وكأنه وجه امرأة عجوز.

ـ سامحيني، قالت الفتاة. لقد تسببت لك بالكثير من الأزعاج... لقد جعلتك تعتقدين بأنني خطيبة سيان.

ـ ولماذا قبلت أن تقومي بهذه الخدعة؟

وجدت توني أن الكذب لن يفيدها.

ـ كي أستعيد راف. أعترفت الفتاة فالحب يؤدي دائماً لإرتكاب الحماقات ولكنك أنت تتحملين جزءاً من هذه المسؤولية، لم لو ترسلي راف ليفرق بيني وبين سيان، لما كنت وقعت بحبه.

ـ لقد فهمت، للأسف لم أكن قد رأيتك من قبل، ولم أكن أشك بأن راف سيقع في الفخ الذي ذهب لينصبه، وأن يقع بحبك.

ـ راف لا يحبني، أكدت لها توني، ليس هو الحب الذي يكنه لي.

تفاجأت كارين وسألتها.

ـ لكنه طلبك للزواج، أليس كذلك؟

ـ نعم، ولقد قبلت. ولكنه شرح لي هذا المساء بأن علاقتنا مصيرها الفشل.

ـ ولماذا كان يريد الزواج منك إذن؟

ـ إنك أنت التي دفعته لذلك. وكذلك سيان كان بحاجة إلى سلاح يواجهك به.

ساد صمت قاتل في الغرفة. ثم تمتمت كارين:

- يواجهني به؟

جمعت توني كل شجاعتها، وتابعت:

- نعم، لأنك عقبة في طريقهما، وتحاولين أن تتحكمي بحريته. وعلى الأخص تجاه راف لأنك تعتبرينه المسؤول عن مرضك أليس كذلك؟

- حتى ولو كان هذا الواقع! صرخت غاضبة، لقد وعدني.

- ولا يزال محافظاً على وعده، وسيبقى دائماً دون أن تجبريه أنت.

- لن تقبل أية امرأة أن ترى زوجها مسؤولاً عن عاجزة. أتأكدين لي العكس؟

- نعم، أعتقد أن الطبيعة البشرية أكثر تعقيداً مما تتخيلين. إذا بقي راف معك، هذا لا يكون بالنسبة له واجباً فقط، ولكن سيكون بدافع حبه لك. لقد أختار هذا الوضع بحرية. ولقد أخبرني يوماً بأنك الأنسانة الوحيدة التي تعجبه في هذا العالم، لأنك لم تستسلمي أبداً، ولكنه مخطىء.. أنت تخفين حقيقة شعورك، هذا كل شيء!

أغمضت كارين عينيها، وكان جسدها يرتجف، وعندما عادت إلى الكلام، كان صوتها ضعيفاً جداً.

- هل تعرفين كيف تكون الحياة على كرسي متحرك؟ حياة بكاملها شلت في يوم واحد.

أقتربت توني من السرير، وأحست بالشفقة على هذه الأمرأة. لكنها حاولت أن تبقى صامدة.

- لا، لاأعرف بماذا تشعرين. قالت لها بهدوء. لكني أعتقد أنك لم تفقدي كل شيء. لماذا لا تحاولين الأستفادة من عينيك ومن يديك... تستطيعين الرسم أو الكتابة.... بدل أن

تبقى مسجونة داخل ذاتك، غير مبالية بالترف الذي تجدينه طبيعياً.

ثم سكتت الفتاة. وكانت كارين تنظر إليها مذهولة ووجهها شاحباً.

بعد قليل أنفرجت تلاميح وجهها ومدت يدها نحو توني. وقالت لها متوسلة:

- لا ترحلي، أريدك أن تبقى هنا.

- هذا مستحيل، راف لن يقبل بذلك.

- بسببي. لأني أنا قلت له بأن هذا مستحيل. ولكن هذا لن يحصل أبداً.

- ليس هذا كل ما في الأمر! أنه لا يثق بي. أنه لا يزال يعتقد بأني أنا أغريت «كريغ شانون».

- لم تكوني دائماً صادقة معه.... أجابتها كارين.

وأرتسمت ابتسامة على وجه كارين. وتابعت:

- على سبيل المثال، لقد أخفيت عنه علاقتك «براندي ستيفانز».

صعقت توني عندما سمعت ذلك وسألتها:

- كيف علمت بأمره؟ وفهمت توني بسرعة لماذا كان راف لا يثق بها وفجأة فهمت كل شيء.

ضغطت كارين بحنان على يد توني وقالت لها:

- حاولي يا توني.

فعاد إليها الهدوء. وتابعت مبتسمة:

- لقد طلبت تحقيقاً عنك. وأحد أصدقائي الذي يعمل في مكتب الهجرة أعطاني العنوان الذي كان معك عندما وصلت إلى هذا البلد. كان عنوان الرجل الذي يضمنك هنا. وعندما أعطيته

إلى راف لن يتفاجأ. لقد تكتمت عنه عندما سألك عن سبب مجيئك إلى كندا.

- يعتقد أنني كنت أعيش مع راندي، أليس كذلك؟

- نعم وأنا أعتقد ذلك أيضاً... أليس هذا صحيحاً؟

- كلا، أنا... وتعثرت الكلمات على فم الفتاة.

- أحتفظي بأجوبتك لتقديمها لراف، نصحتها كارين بمودة. إذا كان عليك أن تثبتي لأحد... فإنه سيكون راف.

- قد لا يستمع لي، ولن يصدقني.

- سيستمع لك، لأنك قادرة على ذلك، نحن الأثنان بحاجة لك. وعندما سيعلم راف بأن زوجة أبيه ليست شريرة تقف في طريقه. لن يتردد للحظة، كانت كارين تكلمها مبتسمة دائماً.

- لا تتكلمي هكذا عن نفسك. أجابتها توني بحنان، وطبعت على خدها قبلة. وأضافت، إذا سنحت لنا الظروف وقضينا معاً وقتاً أطول، سنصبح بالتأكيد صديقتين حميمتين.

- أعتمدي علي، سأفعل المستحيل لاؤمن هذه الظروف. إذهبي الآن وابحثي عن راف فوراً. وأعلميه بأني أريد أن أراه.

- لقد ذهب في جولة على الحصان.

- أذن علينا أن ننتظره....

في هذا الوقت سمعتا طرقات على الباب.

- قد يكون هو.

ولكن كانت هذه إيفا التي جاءت لتقول لكارين بأن حمامها جاهز.

- سأدعكما. قالت توني ونهضت.

- حالياً فقط، أكدت لها كارين.

وعندما وصلت توني إلى الممر، ترددت توني لحظة، لم تكن مستعدة لمواجهة أسئلة سيان، وتتوقع أن تكون مقابلتها مع راف صعبة. كيف ستشرح له تجربتها مع أندري؟ فلجأت إلى غرفتها، وتمددت على السرير، وأخذت تنظر إلى سقف الغرفة محاولة أن تهدأ نفسها. لا يجب أن تستسلم الآمال.... فإن راف لن يأتي إليها ليكلمها. وبقيت تنتظر.

صوت الرعد القوي جعلها تستيقظ، وكانت الساعة تشير إلى العاشرة وراف لم يأت بعد. حتى بعد أن سمع كلام زوجة أبيه، قد يكون قرر أن لا يرى توني مرة ثانية. راندي، كريغ، ثم سيان، كلها أدلة ضدها.

لا بد لها من السفر في الغد، توجهت إلى النافذة، وكان المطر يتساقط بغزارة وصوت الرعد يتردد في الجبال. فجأة، سمعت دقات على الباب، أسرعت وفتحته، إنه راف.

- لقد أخبرتني كارين بأنك تريدين التحدث إلي.....

- هل أخبرتك بكل شيء؟

ابتسم بخبث وقال:

- كلا، بالتأكيد. لا أعرف ماذا فعلت بالتحديد، ولكنها تريدك أن تبقي.

- وانت؟ سألته بهمس.

- ممكن، نعم،.... هل أستطيع الدخول؟ على الأقل لا تريدين أن أبقى في الممر...

وبدت على وجهه إمارات السخرية مما جعل توني تثور غاضبة، فلماذا عليها أن تفتح كتاب حياتها كله أمام هذا الرجل الذي لن يصدقها أبداً.

- ليس لدي ما أقوله لك! صرحت له وهي تكذب على

نفسها. ليس لدي ما أريد أن أثبته لك. راف، لا أريد أن أراك ولا أن أعيش معك.

وحاولت أن تغلق الباب بعنف، لكن راف منعها ودخل بقوة إلى الغرفة. وأمسك توني بين ذراعيه. وأخذ يقبلها بحب وعاطفة قوية، وتوني ترتجف بين يديه، وتركت نفسها للتيار. وبعد قليل وهما متمددان قرب بعضهما أخذا يضحكان بمحبة.

- آه، راف أنني أحبك كثيراً. صرحت له توني.

- وأنا أيضاً.... توني، أحبك، وسأحبك للأبد. ولن أشك بك بعد اليوم.

- إذا أردت سأشرح لك ما كان بيني وبين راندي.

- مرة ثانية. هذا لا يهم. كم كنت غبياً، كنت على وشك أن أفقدك.

- كم أنا سعيدة. تنهدت توني وهي تلقي برأسها على صدره.

رفعت رأسها وابتسمت وقالت له:

- لقد حلقت ذقنك! هذا كان مدبراً إذن.

- طبعاً بلا شك.

نظر إليها طويلاً، وبحان ظاهر في عينيه.

- توني، أتريدين الزواج مني، وبأسرع وقت ممكن؟

أغمضت الفتاة عينيها. لقد انتهت كل المتاعب الآن. سيان ومستقبله الغير أكيد... كارين.... مع راف لن تخشى شيئاً.

- نعم، أجابته توني، عندما تريد.

(إنتهى)

ستقرؤن في الشهر القادم

وضمن سلسلة عبير...

- الوهم الفاتن، «روماليا لان»

حلم... الرجل المثالي، اللقاء في «ماجورك»، الحب، فجأة لم يعد هناك شيء... لماذا أختفى «ريك تلفور» دون أي تفسير؟ «فاني» فقدت عملها. ولكنها ستحصل عليه من جديد عندما سيعود. لقد تغير تماماً حتى أنها تدمت على معرفتها به.

- تحت قناع اللامبالاة. «فان درزي»

منذ زمن طويل. «ساني» قررت أن لا ترتبط بأحد. ذهبت إلى أفريقيا كصحفية لامعة، عنيدة ومستقلة. لكن نظرات «مارك» افقدتها توازنها. كيف ستتمكن من الإبقاء على عدم مبالاتها.

- حيثما ذهبت. «فلارا كيد».

لماذا تركت «سمانتا» «بيار» بعد سنة ونصف من الزواج؟ هي نفسها لا تدري. أنها بحاجة لتثبت/نفسها. الشباب، والغيرة. وعندما التقيا بعد عامين في «الكاريبب». سمانت» أحست بعودة مشاعرها العائلية. بينما بيار؟

- على أبواب السعادة. «إيفون ويتال».

بعد عدة محاولات قام بها أهلها لإيجاد عريس لها، هربت «لورين» إلى «جاهنسبورغ» وهناك ستتمكن من العيش على هواها. هذا ما اعتقدته. وعندما التقت بـ «ستيف بومان» أدركت بأنها لن تكون سيدة اللعبة معه.

www.rewity.com